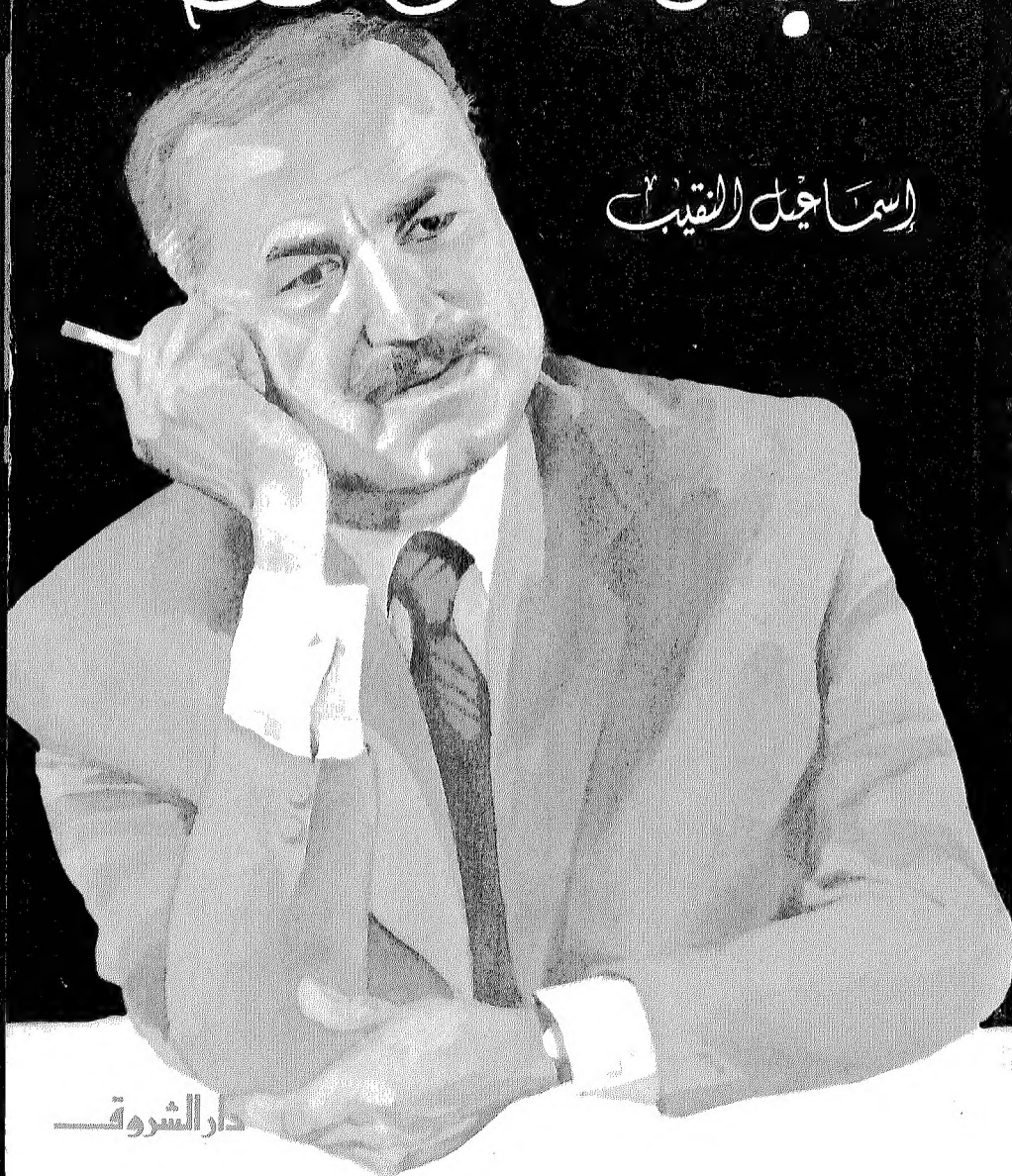


الحب في الرقص النطاس

إسماعيل النقيب



دار الشروق

أَجِبُّ فِي الزَّمَنِ بِخَطَاٍ !

الطبعة الأولى
١٩٨٧م - ١٤٠٧هـ

جميع حقوق الطبع محفوظة

© دار الشروق

تسويات : ص ٦٤ : ٨ - هاتف : ٣١٥٥٩١ - ٨١٧٧٦٥ - ٨١٧٧١٣ - بروتا ، الشروق - تلخكس ، SHOROK 20175 LE
القاهرة : ١٦١ شارع حسان - قناص : ٧٧١٨١٤ - ٧٧١٥٧٨ - بروتا ، الشروق - تلخكس ، SHOROK UN
SHOROK INTERNATIONAL 318/316 REGENT STREET, LONDON W1, UK, TEL. 837 2743/44, TELEX SHOROK 25779 G

إِسْمَاعِيلُ الْقَيْسِي

الْحُبُّ فِي الزَّمَنِ الْخَطَأِ !

دار الشروق

إهداء

إلى حبيبي .. التي كانت في جبهها جزيرة
للعواطف .. وكنت في جبهها محاصراً بالأعاصير
والمخاوف .

إسماعيل النقيب

الفصل الأول

كان مختار عبد الله يختلف مع صديقه أحمد حول كلمة تقال
في الحب . فصديقه أحمد دائماً ما كان يردد أن علاقتي في الحب مثل
العلاقة التي ترتبط بين الشاطئ، وموج البحر. يتولد الفراق في
لحظة اللقاء!

ولكن مختار عبد الله يرى في الحب كلاماً قريب الشبه من
ذلك، ولكنه يختلف. فهو يرى أن العلاقة في الحب مثل علاقة
المسافر بوسيلة السفر. . يتولد الفراق عند اللقاء ولكن سيظل اللقاء
قائماً لبعض الوقت. قد يطول لو كان السفر على ظهر باخرة. وقد
يقصر لو كان في الطائرة. وقد يكون بين هذا وذاك في وسائل السفر
الأخرى، ولكن في كل الأحوال لا بد من الفراق. ولا بد من
العودة للحب!

ولكن مختار عبد الله اتفق أخيراً مع صاحبه أحمد في علاقة
الحب بأموال البحر والشاطئ يحدث الفراق وقت اللقاء.
وكان من الطبيعي أن يسأل أحمد صديقه مختار عبد الله عن

سبب هذه الموافقة المفاجئة . . والتي تمثل انتصاراً لوجهة نظر أحمد في الحب . . وأمواج البحر والشاطئ .

فطلب مختار من صديقه أن يسمعه حتى النهاية . . حتى لو طالت روايته . . وفيها اقتناع بوجهة نظره .

فقال مختار: شيء محير: فأنا كإذاعي يعرفني معظم الناس من صوتي في الراديو . . وقد يصل صوتي إلى الدنيا البعيدة . . إلا أنني إنسان محاصر ومحدود . . ولي جهات أصيلة تدل على شخصيتي!

فقاطعه صديقه أحمد قائلاً: أفصح عما تقول!

فقال مختار: أنا بحدني شمالاً أهلي في الريف. وجنوباً بيتي في القاهرة. وشرقاً مكان عملي. وغرباً أصدقائي. ويسبب ذلك صادفني أخيراً ما يجعلني مثلك اقتنع بأن الفراق في الحب ينشأ عند اللقاء مثل موج البحر والشاطئ .

فقاطعه أحمد مرة ثانية واستعجل حديثه :

فروى مختار روايته . . وصوته الإذاعي قد خفت حدة النبرات فيه . . بل كان صوته مزيجاً من الحسرة والشروود والفرحة، والألم، والندم. والصمت. وقد كانت كلماته تتلون مع صوته حسب حديثه فيما يروي من أحداث في أيام الحب .

في البداية أشرق القلب بنور الحب عندما سرت في سماء المطار نسيمات شاردة في ليلة اختزنت حرارتها من لهيب الشمس في النهار.

عندما أغراني صديقي عباس بالذهاب إلى المطار لاستقبال شقيقه رأفت العائد من السفر في طائرة تصل قبل منتصف الليل . وكنت أعرف شقيق صديقي وتربطني به علاقة ودودة لم تصل إلى درجة الصداقة مثل شقيقه الأصغر رأفت الذي أعرفه منذ سنوات الدراسة في الجامعة . وفي الحقيقة المشوار أغراني حباً في هواء مثل هذه المناطق . . وكان الهواء احتجب عن المدينة أو غاب عنها .

والمطار كما هي العادة مزدحم وهو قطعة من النهار بأضوائه وزحامه . ولكن شيئاً يجعلني دائم الشرود في هذا المكان . . وهذا الشيء الذي تستجيب له نفسي أحياناً بالاضطراب وعيناى بالدموع هو منظر المودعين والمستقبلين . فرحة اللقاء ، وقسوة الفراق .

فرحت في أول الأمر في التأمل لأفراح العودة وقسوة الوداع والأحضان والقبلات أيضاً . . وفي كل الحالات كانت تجري دموع في العيون .

وأخذتني التأملات بعيداً عن الذين حولي من المستقبلين من أهل وأصدقاء شقيق صديقي . ولم يكن بينهم من أعرفه . ولكن على كل حال قام صديقي بتقديمى إلى الموجودين جميعاً .

وشعرت ببعض الزهو المزوج بالفرحة ، والتواضع العفوي من بعض كلمات الشاء على صوتي وطريقتي الإذاعية في الأداء .

وبعد تقديمي للأهل والأصدقاء . فرحت من جديد في تأملاتي في
وجوه المسافرين . . فرحة الأم باستقبال وحيدها . . ولوعة أم أخرى
تودع ولدها . وزوجة تستقبل زوجها وأحضان الزوج لأطفاله
وقبلاته على خد زوجته . ودموع الزوجة والبنات عند وداع أبيهم
المسافر . . وكلها صور أفرح لها وينقبض قلبي لها . . وأحياناً في هذه
التأملات أنفعل معها إلى حد الرغبة الشديدة في البكاء . واحتباس
الصوت .

ولفت ذلك نظر الموجودين لدرجة أنهم بادروني بالقول :

ما لنا نرى المذيع الذي يملأ الدنيا كلاماً لا يتحدث . واكتشفت
أن صوتي يكاد لا يخرج من حنجرتي بسبب انفعالاتي والتدقيق في
وجوه المسافرين والعائدين والمودعين .

وفجأة سألني صديقي : مالك ؟!

قلت : بعدما عاد إلى نفسي بعض الاتزان والهدوء وخفت حدة
ذلك الاضطراب : إنني دائماً ما أشعر بالحزن لرحيل الانسان
المسافر، حتى لو كان السفر فيه الأمل والرجاء . ولكن كلمة
الاغتراب مساوية عندي لأحزان النفس ودموع العين . واستطردت
قائلاً : ربما راحلاً بدنياء إلى حيث لا يعود، وربما كان المسافر معاراً
أو مبعوثاً . أو فاراً بدينه الى أرض الله الواسعة .

فقال أحد الحاضرين مقاطعاً : أو تاجر شنطة !
فضحك الحاضرون !

وأشاعت الضحكات جواً من الألفة بددت جهامة النفس لمناظر
المسافرين .

ودار الحديث قصيراً عن استفحال تجارة الشنطة . ولم أشارك في
هذا الحديث . . حتى عندما سألني البعض عن رأيي فاكثفت بقولي
إنني أكره حديث المال والتجارة !

فقال آخر: تجار الشنطة ورجال الانفتاح هم رجال العصر
الحديث .

وعاد الحديث إلى تضخم الثروات والأرقام الفلكية ، وصفقات
العمر .

ما زلت في شرودي . ولكن سمعي كان يلتقط بعض أطراف
الحديث . مثل قصة ذلك التاجر . الذي كسب مليون جنيه في
صفقة واحدة .

فقلت : لازم تاجر مخدرات من إياهم .
فقال المتحدث : أبداً .

هذا كسب مشروع وحلال في ظل القوانين الجديدة ، والتي
أفادت الشطار من التجار . فمثلاً ذلك الرجل عرف من جرنال
إنجليزي أن قيادة حلف الأطلنطي في بلجيكا تريد أن تتخلص من
ملابس الجنود التي تزدحم بها مخازنها منذ نهاية الحرب العالمية الثانية

عام ١٩٤٥، وتبيع هذه الملابس التي كانت مخصصة لجنود جيوش الحلفاء في الحرب، ومن أهم هذه الملابس البلاطي، والتي لم تعد صالحة لاستخدامها برغم أنها ما زالت جديدة بسبب طريقة الحفظ الجيد، ورشها بالسوائل التي تمنع عنها «العتة» أو التلف. وهذه البلاطي كانت تباع بالطن، وشارك في المزاد ذلك التاجر المصري واشترى عدداً من الأطنان من هذه البلاطي، وكان سعر الباطولا يزيد على نصف دولار، وأدخل هذه الصفقة وبدون جمر مستفيداً بالإعفاء لأنها ملابس قديمة، ومعه شهادة تثبت تاريخ صنعها. وباعها للفلاحين في الوجه البحري والصعيد بسعر ١٢ جنيهاً للباطل الواحد.

وقال آخر: إن الموضة في هذه الأيام هي أن تكون رجل أعمال. أو تعمل في بنك استثمار. وتقبض ١٥٠ جنيهاً للجلسة الواحدة. أو تأخذ بدل سفر ٧٥٠ دولاراً لليوم الواحد.

وقال رجل ثالث يتسم بالحكمة والوقار: إن هذه القوانين زادت الفقير فقراً. والغني غنى! يكفي أن يكون المال فتقطع الطريق على الناس بمالك الحلال! كأن توظف أموالك في تجارة الشقق. . تشتريها وتغلقها. . ثم تبيعها بأضعاف ثمنها بعد عام. وكذلك تجارة الأراضي.

وكثر الحديث. . وازداد انقباض الصدر مع هذا الحديث السمج والممل جداً. وازدادت رغبتني في الصمت.

ولاحظ الموجودون صمتي وشرودي مع الوجوه العابرة ومع
النسمات الصيفية في ليل القاهرة . .

وسألني البعض إن كنت معهم في الحديث .

فأجبت باقتضاب شديد : نعم !

وسأل من جديد :

ولماذا لا تشارك في الحديث ؟

قلت : أنا من أهل الصمت عند الحديث المفيد . وقلت هذه
العبارة مجاملاً .

ولكن صديقي قال : يا سلام من أهل الصمت . . وأنت
صاحب «مكلمة» . . وضحك الحاضرون لهذه الكلمة . وواصل
صديقي الحديث مشيراً إلي . . إنه لا يعطي فرصة لأحد في الكلام .
ولكنه في هذه الليلة يقول أنه من أهل الصمت ! . . طبعاً هو
يخدعكم !

وفي الحقيقة أنني لم أسترح لكلمة الخديعة التي انفر منها .
ولكنني قلت : صحيح إنني من المتحدثين . ولكنني صاحب اتجاه في
علم الكلام . . وأضفت علم الكلام «الهايف» لا علم الكلام الذي
وضعه الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه . . والذي هو علم
الفقه ! فهناك من يرى أن الذي يصلح للصمت لا يصلح للكلام .
وهذا رأي «الكلامنجية» المحدثين . ولكنني أرى أن الذي يصلح

للصمت المبين.. يكون متحدثاً مبيناً. بشرط أن يتحدث في حالة واحدة. ويصمت في حالتين.

يتحدث عندما لا يعلو على حديثه.

وتدخل صديقي مقاطعاً: بحيث يعلو صوته على صوت المعركة. (ضحك).

ثم واصلت حديثي قائلاً: ويصمت إذا كان المتحدث.. بليغاً وعالمًا، وأستفيد من علمه الغزير. أو أصمت احتقاراً لمناقشة.. لا سبيل إلى احتقارها إلا بالصمت من جانبي!

ولاحظت الاهتمام من الموجودين بما قلت.. وسبب الاهتمام أن حديثي جاء بعد صمت طويل.. وثانياً وضعت المتحدثين في حيرة.. فهل يا ترى كان حديثهم من ذلك الذي لا يعلو عليه، أو من النوع الذي لا سبيل إلى احتقاره إلا بالصمت. وصدق ما توقعت. وإذا بصديقي المشاغب الذي يريد أن «يجرني» للمشاركة أو الاشتباك معهم في الحديث. وإذا بالصديق يسألني إن كنت مقاطعاً الحديث للعلم والانتفاع أم للاحتقار.

فبادرت قائلاً:

استغفر الله.. للانتفاع طبعاً.

وأنقذني صوت المذيعة الداخلية للمطار.. والتي تعلن عن تأخير الطائرة القادمة من لندن لمدة ساعة!

فقلنا جميعاً على الفور: لازم جاي على شركة مصر للطيران.. ولكن صوتاً نسائياً جاءنا من بعيد برغم أن صاحبتة تجلس بيننا ولكنها لا تشارك إلا بالاستماع والتدخين.. قالت هذه السيدة: أبداً هو قال في البرقية أنه جاي على شركة بريطانية. وإذا ببعض الموجودين يقول: يمكن غير وركب مصر للطيران.

فقلت: على العموم جميع شركات الطيران أصبحت من حين إلى حين تنافس بعضها في التأخير.. وشركة مصر لا تنفرد وحدها بمسألة التأخير. وإن كان حظي معها في السفر إنها دائماً كانت تقوم في موعتها! وهذه شهادة لله!

ومنذ تلك اللحظة وأنا عيني على تلك السيدة من بعيد لبعيد. ولفت نظري أنها من ذلك النوع من الجميلات اللاتي يشعرن بجمالهن اللائق واللافت للنظر. ولديهن ذلك الشعور الجاهز بالوقوع فوراً في هوى ذلك الجمال. ولذلك كانت ترى أن في صمتها رفعة لقدرها وأنا في الحقيقة يستهويني هذا النوع من الجميلات.. ولكنني لا أقبل عليها خشية الوقوع في الحرج. وأعظم طريقة في معاملة هذا الصنف هو الابتعاد.. وأن يعجب المرء من بعيد، بحيث لا يتعدى الإعجاب داخله.

ونظرت إلى صاحبة الجمال اللائق، فوجدت أنها تحفي دبة زواجها في يدها اليسرى خلف خاتم كبير أخذ جماله من جمال يديها البيضاء ذات الأصابع الطويلة.

وعاد الحديث من جديد . وعاد صمتي من جديد . مع نظرة غافلة أخطفها لتلك الجميلة التي تلمح في عينها هدوء التمرد ، وكانت بين لحظة وأخرى تزيع خصلة من شعرها الناعم تائهة على ذلك الجبين المستقر على وجه كله جمال !

وكان المتحدث هذه المرة ذلك الشخص الذي يبدو عليه الوقار . . وقال : إن البلد لو استمرت بهذه الطريقة . . فهذا معناه الاتجاه نحو الهاوية .

فوجدت نفسي مدفوعاً بالغضب وأريد تغيير نغمة الحديث الذي أوشك أن يقودنا نحو الغرق في كلام الاقتصاد . . وقلت : لا هاوية . . ولا حاجة . . ومصر «المحروسة» ستظل بخير ببركة الأولياء الصالحين .

وقلت أيضاً : أنا لا أصدر عن حديث من عندي . . ولكن سبقني إليه أحد خبراء الاقتصاد العالميين الذي زاروا مصر بدعوة من الحكومة لتنظيم اقتصادها في أوائل الخمسينيات ، ووجد أن كل شيء ينذر بالخطر . . وأن السير على نحو ما نسير عليه هو الكارثة . . وكانت المشكلة من التعقيد بحيث لا يرى معها حلاً آجلاً . . وقال قولته المشهورة : خليكم كدة بالبركة !

فرد عليه أحد السامعين قائلاً بسخرية المصريين : بركة الصالحين يا خواجة !

وعز علي أن يكون حديثي بالغ التسطيح هكذا. . وإن كنت قد أردت ذلك هروباً من كلام ثقيل مثل حر النهار الذي يزهق الأرواح. ووجدتني أقول من جديد:

أنا أعرف أستاذاً من كلية العلوم ومتخصصاً في الاحصاء.

وحدثني حديثاً قال فيه: إذا وصلت أزمة المساكن على ما هي عليه فمستوى الأخلاق في خطر. . بمعنى أن ذلك سوف يؤخر زواج الشباب مما سيورث الأسرة العصبية، والعصبية مريض شديد العدوى.

وقلت: يكفي أن تشعر إحدى الأمهات أن ابنتها أصبحت عانساً. . وهذه النسبة لو وصلت إلى ١٦٪ فهذا هو النذير. . وأنا أعرف النسبة قد تعدت ذلك الرقم. كذلك شبابنا الحائر. . وغموض المستقبل بالنسبة له.

ويكفي هذه القصة لبيان عمق المأساة التي لا يظهر منها سوى ما هو على السطح مثل جبال الجليد في البحار أكثرها تحت السطح، وقد حدثني طبيب صديق: إن إحدى الأمهات قد لجأت إليه لستر ابنتها. . وطلبت منه إجهاضها لأنها حامل. . بعد أن أخطأت مع زميل لها وعدها بالزواج ثم تخلى عنها. ولو أن أباهها عرف فسوف يقتلها.

ووافق الطبيب حماية للأسرة ومنعاً للجريمة وتشريد أسرة

بكاملها، ولكنه استمع من الفتاة بعد العملية وهي لم تتخلص بعد من أثر المخدر. . أن الذي فعل فعلته معها هو. . «أخوها» لأنهم سبعة من الأشقاء ينامون في غرفة واحدة، وكانت أحياناً ما تشاهد أباه وأمه في حالة حب ليلاً. وكذلك شقيقها. وفي إحدى الليالي كانت بجانبه ليلاً. . وحدث ما حدث وهما بين النوم واليقظة. .

وقلت: إنها معذوران. . فالحياة الحشرية التي تعيشها هذه الأسرة وكذلك الكثير من الأسر، أصبحت مع هذا الوضع لا تعرف العيب. فالعيب أن يكون هناك حاجز للعيب ثم تنتهكه اما إذا لم يوجد هذا الحاجز. . فلا وجود للعيب!

وفي لحظة أثناء حديثي شعرت كما لو أن النسيم حمل إلى قلبي رسالة «يوشوشني» فيها همس الحب. . وذلك عندما اقتربت تلك الجميلة من مجلسنا وفتحت علبة سجائرها «الحريري» وقدمت لي سيجارة. فاعتذرت بدعوى أنني لا أغير نوع سجائري.

وواصلت حديثي الذي كان أشبه بالدفاع عن نفسي في لحظة صمت أو في لحظة «تسطيح» للأمور. وفي أثناء استمراري في الحديث وجدت إحدى الموجودات من أقارب شقيق الصديق العائد، تعطيني من سجائرها. وبحركة تلقائية أو ربما كانت متممة في عقلي الباطن وجدتني أمد يدي وأضع سيجارتها في فمي!

وبحركة من يدي استدعيت أحد الجرسونات وطلبت عدداً من عصير الليمون بعدد الموجودين إلا واحداً.. وتعمدت ذلك.. . وقلت نشرب كمان حاجة في الجو الظريف ده! ولم يلحظ أحد عدد ما طلبت لأنه لم يفكر أحد في عدد الموجودين بالضبط نظراً لأن الطلبات السابقة كانت متنوعة وقام بحصرها الجرسون وكانت بين القهوة والشاي والكازوزة.

وجاء الجرسون حاملاً الطلبات. وأعطيت كل الموجودين فيما عدا أنا. وعللت ذلك أنني ضعيف في الحساب.. . ولعلني لم ألحظ تلك الأخت التي كانت بعيدة عنا، ولم تشاركنا الحديث ولذلك فأنا أعاقب نفسي بإعطائها «الكوب» الخاص بي.. . وبادر الجميع بإعطائها أو إعطائي.. . ولكنني حسمت الأمر بسرعة بأن طلبت من الجرسون «كوباً» آخر!

وواصلت حديثي الجاد.. . ولا أذكر فيما تحدثت من كثرة الاستشهادات بالشعر وكلام الآخرين.

وقطع الحديث إعلان صوت المذيعة الداخلية عن قرب موعد وصول طائرة لندن. وأصبح أمامنا أقل من ساعة ويذهب كل إلى حيث جاء بعد وصول العائد بالسلامة!

كان قلبي لم يزل يتحدثني عن تلك الجميلة الواثقة ولم أشأ أن

تقع عيني عليها خوفاً أن تفضحني مشاعري ولكنني افتعلت حركة.. قمت فجأة بدعوى الحديث في التليفون.. ثم عدت بسرعة بدعوى ان التليفون مشغول.. ثم رجعت مرة أخرى بعد مدة.. وعدت بسرعة بدعوى أن الرقم لا يرد أحد فيه.

وكان الرد بطبيعة الحال من أحد الموجودين بأن التليفونات «عطالة».

وإذا بي أتحدث عن التليفونات من باب ما حدث لي شخصياً معها. رويت لهم قصة.. وكنت أريد من ورائها أن ألقى برقم تليفوني لمن يريد أن يلتقطه، وندمت أنني جعلت تليفوني.. سري.. ولم أشأ أن يوضع في الدليل بدعوى أنني لا أعمل في المحاماة أو في الطب!

وقلت حدث ذات مرة أن أحد رؤساء الوزراء السابقين صادفني في حفل استقبال صدفة.. وقال لي لا تعط رقم تليفونك لمتحدثات في آخر الليل حتى لا أنزعج أنا. فقلت له: لم أفهم!

فروى أنه يستيقظ ليلاً ليرد على صوت ناعم يطلبك فلما أقول النمرة غلط تقول صاحبة الصوت الناعم هي دي مش ثمرة كذا.. أقول لا.

وكانت ثمرة رئيس الوزراء هذا تختلف عن رقم تليفوني فقط في الرقم الأخير.. فتليفوني ينتهي برقم ٢ وتليفونه ينتهي برقم ٣..

وكنت أقول لرئيس الوزراء بشرة خير. . أصبح الفرق بيني وبين أن أصبح رئيساً للوزراء رقماً واحداً وكننت أروي وأذكر أرقام التليفونات كاملة ووجهي إلى أصدقائي. . بعيداً عن ملكة جمال هذه الليلة التي «وشوشي قلبي والنسيم بشأنها».

ووصلت الطائرة. . وسار كل منا في طريق. . وأمضيت بجوار صديقي في سيارته سارحاً طوال الطريق. . وخيالي يستعيد جمالها الوثائق والرباني والدقيق التقاطيع، كانت كاملة الحسن والبهاء، وتسر الناظرين. ولكنني لم أقو على النظر إليها خوفاً من نفسي وعلى نفسي من ذلك الجمال الذي ألفت به الصدفة في طريقي. وآه على ذلك الشعر الحرير الذي على الحدود «يهفهف» ويرجع يطيرا!

ولم تفارقني تلك الواقعة في هذه الليلة. . أخذها خيالي معي إلى غرفة نومي. ولا أعرف متى دخلت في النوم!

مساء اليوم الثاني: دق جرس التليفون. . تمنيت أن تكون هي التي تطلب لكن هيهات. كان أحد الأصدقاء. ولا أدري لماذا شعرت بالاحباط. وكان حديثي معه فاتراً برغم أنه صديق حميم وأسعد بحديثه معي. لدرجة أنه فكر أنني مريض. وقرر أن يجيء إلي في بيتي. وجاء ووجدني لا أشكو من شيء. ولكن ربما الارهاق وكثرة التفكير في تلك الحسناء كان السبب. . وبرغم أنها لم تكن هذه أول مرة أشاهد جميلات. . ولكن جمال هذه المرأة من ذلك النوع الذي تتمنى أن ترحل في شفتيه، وتسافر معه إلى عالم بعيد. .

بعيد.. فيه النداء.. وفيه الصدد.. وفيه الرجاء.. وفيه الأمل..
والخوف من الاحباط !

ودق جرس التليفون من جديد.. فأسرعت إليه وإذا
بالمحدث صديق رحلة المطار بالأمس يشكرني على الصحبة
الجميلة.. وقال لي أنه بالمناسبة في مكان قريب من بيتي.. وسوف
يمر علي بعد قليل.. فقلت: أهلاً.. ومرحباً.

ولاحظ صديقي الجالس سرعتي في الرد على التليفون، وسألني
إن كنت منتظراً لمكالمة هامة.. من النوع «إياه» فنفت، ولكن
سرعتي في النفي أكدت شكوكه.. والتي حاولت تبديدها بقولي «يا
ريت»!!

ولا أدري لماذا أخاف أن تفضحني مشاعري تجاه صديق لا
يعرف شيئاً ولم يشاهد شيئاً.. ولكن عمق الجمال في داخلي
والشعور الذي يجعلني ارتفع وأهبط معه، جعلني في حالة عصبية لم
أعرف معها الهدوء!

ووصل صديقي.. الذي فرح بوجود صديقنا المشترك وراح
يقبله.. ويعاتبني على أنني لم أخبره.. فقلت في هدوء.. حبيت أن
تكون مفاجأة للآخرين.

وكنت في حديثي معها ضعيفاً وباهتاً!

واستمعت إلى جرس التليفون.. وكانت المتحدثة واحدة لا

أعرفها. . ولم أتبين الصوت من كلمة «ألو» لأنني لم أستمع إلى صوتها قبل ذلك. . ودق قلبي بنبض غامض فيه الأمان أن تكون هي وشعرت فجأة وكأن السماء اقتربت من الأرض وجدتها لا تقول اسمها. . وأنا لا أعرف اسمها أيضاً. . ولكنها بدأت حديثها قائلة: أظن هتقول: أصل أنا مش واخذ بالي منك. وأنا لا أغير نوع السجائر. . خوفاً من الكحة ومع ذلك أخذت من غيري. . سيجارتها. . وتصورت صاحبة السيجارة. . وكانت متوسطة القيمة في الجمال. . ووجدتني أهتف في التليفون أهلاااااا!

ولم أزد على ذلك حرفاً! . . واحداً! . . إنها هي صاحبة الجمال كله!

وكنت أريد أن أقول الكثير. . ولكن أخبرتها أن لدي في هذا الوقت ضيوف. . ويمكن التحدث بعد قليل. . واكتشفت أنني ارتكبت خطأ في حق صاحبي فإذا بهما ينصرفان. . ولما سألتها البقاء. . قالوا: أنت كنت بتقول: اتصلي بي بعد قليل. . وهذا يعني قوموا بقي! . . لأن القليل فات!

ولم أقل شيئاً. . وفعلاً كانت مشاعري الداخلية تريد ذلك. . ولكنني لو دققت في كلامي قليلاً. . لما قلت. . وانصرفا. . وبعد قليل جاءني تليفون وخطفت السماعه بسرعة أعادت الحرارة من جديد إلى التليفون. . وانتظرت بجوار التليفون من جديد.

ولم أسمع له رنيناً في تلك الليلة الطويلة الطويلة!!

ومضت أيامي ثقيلة بعد ذلك لدرجة التعب إلى حد المرض في صباح ذلك اليوم التالي واعتكفت في البيت.

واكتشفت أن التليفون لا توجد به حرارة وأسرت إلى تليفون أحد البقالين أستعين بأحد كبار موظفي وزارة المواصلات لإصلاح تليفوني لأنني في انتظار أخبار مهمة من أحد الوزراء.

وسألني الموظف الكبير في وزارة المواصلات عن التعديل الوزاري المرتقب، فقلت: إن شاء الله خير. . وسوف أتصل بك عندما أعرف شيئاً!

واستمعت إلى التليفون يرن من جديد بعد ساعات وذهبت إليه تسبقني فرحتي، وإذا بالمتحدث أحد موظفي «الأعطال» في التليفونات ليطمئن على إصلاح التليفون. وشكرته مسرعاً. وطلبت الصديق الكبير في وزارة المواصلات أشكره على ذلك.

وبعد ذلك رنين آخر. . فرحت أرد متكاسلاً باليأس. . وكان المتحدث أحد مصادر المعلومات يخبرني بالاشاعات عن المرشحين للوزارة الجديدة، وقد لاحظ صاحبي فتوراً في صوتي لم يعهده، خصوصاً وقد سألته منفِعلاً بلا مقتضى: دي اشاعات أم معلومات؟!

فقال لي ساخراً: والله أن الرئيس لم يخبرني! وانتهت المكالمة. وتليفون آخر استمعت إليه باليأس. . وذلك الرد النائم: نعم:

فإذا بالمتحدث ذلك الموظف الكبير في وزارة المواصلات والذي أعرفه ملهوفاً على دخوله الوزارة. «يفصل» لذلك بدلة جديدة في كل موسم. ومع ذلك دائماً يردد هذا القول:

ربنا يجعل المسؤولين ينسوني. . أنا كويس كدة. . الوزارة أصبحت عبثاً نفسياً ومادياً. وأنا أعرف «وزراء» لا يريدون حراسة بسبب تكاليفها. ومرتب الوزير بسيط، ومصارييف الوزير مكلفة في هذا الزمان. . أنا عن نفسي لو عرضوا علي الوزارة قد اعتذر.

فكنت أقول: أن الشخص الوحيد الذي يعتذر عن الوزارة هو ذلك الشخص الذي لم تعرض عليه الوزارة!

وقد سمعت أخيراً من أحد الأطباء الكبار والذي يشغل منصب عميد كلية الطب أنه اعتذر عن الاشتراك في الوزارة ليكون وزيراً للصحة بدعوى أنه يريد أن يكون أستاذاً فقط ولما سألته أحد أصدقائه عن سبب ذلك الموقف الغامض له. . فهو صاحب نشاط حزبي واضح بالحزب الوطني، وطموحه لا يغيب عن أحد.

فقال لصاحبه وهو يحاوره: أنت عاوز الحقيقة أنا حبيت «أعمل ثقيل»! . . فخذوها بجد وسابوني! . . علماً أنا كنت عاوز الوزارة علشان مراتي وأولادي في المدارس. . دائماً ما يتحدثونني عن زملائهم أولاد الوزراء. . وكأنهم يشعرون بأنهم أقل درجة. . أو مواطنين من الدرجة الثانية.

.. فأخذ صديقه يخفف عنه بهذا القول: إن عمر الوزارة في البلاد النامية قصير. وربما يفتكروك في المرة اللي جاية.. ثم أن الوزير في هذا الزمان عندما يبدأ يفهم شغل الوزارة.. يكون قد خرج في التشكيل الجديد. كما أن الوزير ليس سياسياً بمقدار ما هو رجل تنفيذ.

فيرد الطبيب: ربنا كبير!

ويحاول صديقه أن يخفف عنه بقدر من الصراحة فيقول: أنا نفسي برغم كل ما قلته عن الوزارة والوزراء: أن أحلف اليمين كوزير سابق! (ضحك).

وشعرت أن مكالمتي قد طالت.. وحاولت إنهاءها واعترف أن التفكير في صاحبة الجمال كله لم يفارقني.. ولكنه هدأ.. وليته يتسرب مع الأيام!

وكان قد مضى وقت طويل من الليل.. واستعنت بالقراءة استعداداً للنوم.

وجاء رنين التليفون وبأمل ضعيف خوفاً من الاحباط رفعت السماعة لأسمع صوتها.. ولكنني كنت في هذه المرة متماسكاً.. أو أدعي ذلك من باب «التقل». ولم تصدر عني تلك «الأهلاااااااا» الشهيرة.. والتي أسميها أهلاً من أم ديل.

وتبادلنا حديثاً فيه قدر من الفتور المصطنع من جانبي وأنهينا

حديثنا على طلب منها أنها تريد أن تراني .

وزيادة في «التقل» ادعيت أن مشاغلي تمنعني من المقابلة غداً
وبعد غد .

واتفقنا أن تكون السابعة موعداً في كافتيريات أحد الفنادق
الكبرى .

وبعد الحديث التليفوني عادت أشواقني تنادي عليّ وعرفت
الندم . . ولماذا «التقل» في الحب . . ولماذا لم أكن صريحاً . . وليتني
قلت لها اليوم قبل الغد . والغد في الصباح قبل بعد الغد . ولكن ما
حدث قد حدث .

وأذكر أنني استعنت بالمهدئات في يوم اللقاء المحدد الذي كنت
انتظره منذ صباح ذلك اليوم . . لعلي أهدأ . . أو أنام . . ولما كنت
أحاول القراءة كانت تقف تلك الجميلة بين حروف الكلام . . ولم
أستطع تكملة سطور قليلة . وكنت عصبياً بسبب قلق الانتظار .

وقلت لنفسي من باب الأدب لا بد أن تذهب قبل الموعد
بدقائق . . فهي لا بد وأن تجديني في انتظارها احتراماً لها ولنفسي ،
خصوصاً وأني أكدت عليها المجيء في الموعد المحدد ، لأنني أضج
بسبب تأخير المواعيد . . ولما كنت أفصح عن ذلك لبعض أصدقائي
من الصابرين في العلاقات النسائية . . كان يقول لي : من طبع المرأة
أن تخلف الميعاد . . وإلا لم تكن امرأة ! وكنت أضيق بهذا القول .

وكنْتُ أقول أنني لم أعرف فيما عرفت من البنات من تأخرت عن موعدِي . كما لا أعرف أنني تأخرت عن موعد أحد .

وفي ركن من الكافتيريا المزدحمة أخذت مكاني . . . وشعرت بالندم لاختيارنا هذا المكان . . الذي كنت أتصوره أخف من ذلك قليلاً خصوصاً وأن موسم السياحة هابط في هذه الأيام . كما أن الطلبات غالية بالنسبة لأولاد البلد .

ولكن بارك الله في الانفتاح الذي جعل الكثيرين من القادرين على تكاليف التردد على هذه الأماكن والاقامة فيها . وكنْتُ من حين لآخر أنظر إلى ساعتي . وقد طلبت طلبين ومرت ربع ساعة ، ثم نصف ساعة ثم ساعة ولم تحضر رغم أنني أخفيت الساعة في جيبِي حتى لا أنظر فيها وأجدها كما لو كانت لم تتحرك أبداً .

وكنْتُ فيما مضى أضج بربع ساعة تأخير . . فما بالك بالساعة . . ولكن كنت أطمئن نفسي بهذا القول : إذا كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب قد رفع الحد عن السرقة في عام المجاعة الشهير بعام «الرمادة» فكذلك رفع العتاب عن التأخير في زمن محنة المرور التي أصبح معها المشوار الذي كان يستغرق دقائق يتطلب ساعات !

ولكنني في نفس الوقت كنت أقول : هي صاحبة سيارة كما قالت لي في التليفون . . ولماذا لم تحسب حساب الطريق في زمن محنة المرور؟! وأنا أفعل ذلك . .

وكان عباس العقاد يفعل ذلك . حتى أنه كان يصل في كثير من الأحيان قبل الموعد بكثير . . لأنه يعمل حساباً للطريق في زمن «الهناء» فتكون النتيجة أن يصل قبل صاحب الموعد بساعة كاملة .

فلماذا لم تفعل ذلك لو كانت حريصة؟!

وأعود فأقول: أعطها فرصة . ربما حدث ما يدعوها للتأخير.

ولكن بدأ الشك الحارق يطل برأسه . . وأعتقد عن ما يشبه اليقين أنني «شربت المقلب» . . وربما أرادت أن تعاقبني على ما فعلته فيها بالمطار من تجاهل متعمد تحسه المرأة الذكية بغريزتها وكان من مظاهر ذلك عدم الاهتمام وأخذ السجائر من غيرها وشرب الليمون . . إلخ!

وانصرفت من المكان وأنا أغلي من الخجل والشورة! وألقيت نفسي بكاملي على السرير دون التفكير في تغيير ملابسي .

وأقول لنفسي آه لو تحدثت . . ولعلها تتحدث وأقول لها: أنا آسف لأنني لم أستطع الذهاب بسبب مشاغل العمل الطاريء . كما أنني لا أعرف تليفونها للاعتذار . . ولم أحاول في يوم معرفة تليفونات النساء خشية الإحراج أن يرد على تليفوني شخص آخر . . فماذا أقول له؟!

ودائماً ما أفضل أن يتصلن بي في بيتي . . لأنني الوحيد فيه الذي أرد على التليفون . وهذه خصائص العازب العاشق! ولكنني

طردت ذلك الخاطر بأن أكذب عليها . . ولكن لا بد للشار من كرامتي أن أقول لها ذلك!

وجاء التليفون ولم تعطني فرصة للكذب عليها . . فبدأت معتذرة عندما شاهدتني وكان يجلس بالقرب مني أحد المحافظين السابقين وهو زوج خالتها! وكان ذلك صحيحاً . . فأنا أعرف ذلك المحافظ منذ أن كانت صوره مقررّة على الصحف!

وكانت سعادة الدنيا قد غمرتني وغسلت كل ما بي من الغضب في أنها لم تعطني فرصة الكذب . . وإلا لسقطت هبتي في بئر ليس له قرار . . ومضيت أشكر الله أنه أنقذني من نفسي .

وكنت أقول أنت الذي لم تكذب . . لماذا تريد الكذب وكنت أعيب على الكاذبين . . فأكون من الكاذبين؟! وأمضيت حديثي معها بالشكر في داخلي لله الذي عصمني . . وفضل الله قد سبق! وفي نهاية الحديث اتفقنا على موعد آخر في نادي الجزيرة لأن فيه المتسع والأماكن الفسيحة . . وراعت أن يكون اللقاء متروكاً لها . . وبلا عقد ودعوى الحديث عن الانشغال لكيلا يصرعني قلق الانتظار!

الفصل الثاني

كانت الساعة قد أوشكت أن تقترب من السادسة في نادي الجزيرة من نهار اليوم التالي حيث حددت هي المكان والزمان ووافقت عليهما بلا تردد أو مناقشة .

وذهبت كالمعتاد قبيل موعدي ، واحمل في نفسي القليل من الاضطراب . ولكن في كل الأحوال كنت أهدأ من الأمس ، وكان من الطبيعي أن أفشل في محاولات النوم بعد الغداء كالمعتاد . وهذا ما يسبب لي بعض التوتر في الأيام العادية . . فما بالك وأنا على موعد مع الجمال كله ! .

وكان في نيتي أن تكون لدي بعض الحكايا التي كان يسعد بسماعها بعض الأصدقاء . . ولكنني رفضت فكرة الكلام الجاهز ، وفضلت أن يكون الحديث . . ابن ساعته . . كما يقولون !! وجاءت الساعة السادسة ، ثم السادسة والرابع . . وخلعت ساعتني من جديد ووضعتها في جيبي مثل اليوم السابق . . ونظري يدور في كل اتجاه . . ويقع على الدكتور فخري عبد الحميد الطبيب المشهور .

وكنت لأول مرة أراه في النادي وتربطني به علاقة بسيطة أشبه

ما تكون بالعابرة . . والذي لوح بيده بالتحية على البعد . . فرددت التحية . . فإذا به يقترب للسلام وحديث قصير لم يتجاوز الدقيقة يسألني فيه لماذا لم يرن في بيت أحد الأصدقاء . . وهو البيت الذي شاهدته فيه لأول مرة . .

وأذكر انني قلت له ربما بسبب عطل تليفوني منذ أيام في انني لم أتلق دعوة من ذلك الصديق . . ومضى كل منا يجلس بعيدا . .

وعدت إلى ساعتني أنظر فيها بقلق . . وعيني تدور بعصية . . ورحت أقطع الوقت بالتدخين والاسراف فيه . ونذر الغضب والخوف بدأت تطل في داخلي . . وتنمو في صدري كأشجار غريبة . ولم أعد أستطيع الاحتمال أكثر من الانتظار ساعة . وتأكد لي هذه المرة أنها تعمدت ذلك . وبدأت أشك في حكاية الأمس برغم صحتها وأقول لنفسي : لماذا لم تستخدم أية إشارة لي في الكافيتريا . أو إرسال أحد العاملين في الفندق لي بعد ما تشير لهم علي ؟ . .

ولم أذهب إلى بيتي . . ولكن تحدثت من النادي إلى أحد الأصدقاء في الزمالك . . وأمضيت الكثير من الوقت عنده نتحدث . . واعتقد أن الغضب كان يلفني . . ويأتيني من كل جانب . . وتمتد أغصانه في داخلي . . ولكنني حاولت السيطرة عليه . . وساعدني في ذلك جلسه الصديق الذي وجدت بيته عامراً بالأصدقاء ومن بينهم حسناء أخرى أعرفها . . وكنت لأول مرة أشاهدها تعزف على البيانو . . وكنت في حالة من الطرب إلا قليلاً

بسبب الذي في داخلي برغم مهارة العزف . . وحلاوة النغم وهي
تعزف مقطوعات من موسيقى سيد درويش . . طلعت يا محلى نورها
شمس الشموسة . .

وكنت أردد في نفسي: شمس الشموسة طلعت . . وغابت . .
أو غابت قبل ان تطلع . .

ولكنني أصبحت أهذاً قليلاً . . سدليل انني استبدلت ملابسي
فور ذهابي إلى البيت والقيت بنفسي في الفراش ومعني قرار وهو انهاء
العلاقة مع هذه السيدة . . ويكفي ذلك . . وبلا غضب. يكفي أن
نقول لها: انتهى كل شيء ونغلق السماعه في وجهها . . ونستريح!

وقبل منتصف الليل بقليل استمعت إلى التليفون والذي أصبح
فرداً من أفراد القصة . . ولعله يكون البطل . . وكان لدي الشعور
الخفي بأنها هي . . ولذلك ترددت في الرد قليلاً بسبب الحيرة في
اتخاذ قرار: هل اغلق السماعه في وجهها . . أم أثور عليها؟!

ورفعت السماعه في هدوء . . وبالفعل كانت هي: وإذا بها
تقول: انت إيه حكايتك . . مالك انت ومال الدكتور فخري
عبد الحميد؟!

فقلت في هدوء: هذا كلام ليس لي ولكنه لك . . مالك انت
وماله؟!

فقالت: هل تعرف انه عمي؟!

وذهلت للمفاجأة ..

وقلت في هدوء أيضاً: يبدو اننا محاصرون بعمك والمحافظ
السابق ..

وسألتها في هدوء:

لماذا لم تظهرى .. وتمري من أمامي وتعطي أية إشارة دون
كلام .. أو حتى بالتجاهل وتذهبي إليه .. فأعرف أنا الموقف .

قالت: فعلت جزءاً من ذلك ذهبت وجلست مع أفراد أسرته
ولما أجلسوني بجوارهم فلم يكن وجهي لك .. ولما عدلت من
جلستي بحجة الضوء الذي يضايقي .. فلم تستطع أن تراني
بسبب دخولنا في الليل .. ثم انك لم تحاول الاقتراب منا ..
وفضلت الجلوس بعيداً وكنت «صعبان علي» وأنا شايفاك عصبي
وعمال تبص في الساعة وتدخن في غيظ!!

فقلت في هدوء: يا هانم أنا أجلس بعيداً حتى لا أقع في مأزق
الأمس وهذا ما اتفقنا عليه .

فقالت: إن عمي لم يحضر إلى هذا النادي منذ زمن وربما يزوره
مرة في السنة . ولكن جاء هذه المرة لرؤية أحد أصدقائه القادمين من
الخارج ..

فقلت لها في هدوء: يادي السفر والداخل والخارج .. والعم
والخال .. واستطردت وقد علت نبراتي قليلاً فيما يشبه الحسم

وقلت: يا ست هانم الي يطلع من داره ينقل مقداره.. وأنا لن التقى بك بعد اليوم.. وإذا أردت اللقاء من جديد فسيكون ذلك في بيتي.. هذا قراري الأخير!!

فقلت بحسم أيضاً: لا.. مسألة البيت دي شيلها من دماغك.

فقلت: هي لم تكن في رأسي حتى أشيلها.. ولكنها فكرة لم تنزل واقفة على باب رأسي.. وأسبابها معروفة وهي إننا إتفقنا أن نلتقي في الأماكن العامة.. ولكنك محدودة شرقاً وغرباً بأهلك ولم أعرف بقية حدودك الأربعة!

قالت: يبدو أنك شاطر في الجغرافيا.

وسألتها فجأة: هل تخرجت من الجامعة؟

فقلت: ولماذا تسأل؟

فقلت: ردك السريع وحكاية الجغرافيا دي تجعلني أسأل.

فقلت: اطمئن، أنا خريجة تجارة.

فقلت: أي جامعة؟

قالت: ودي تهملك في إيه؟

فقلت: أهى دردشة!

قالت عين شمس . وربما تسألني دفعة كام أقول لك منذ ثلاث سنوات وست بيت . ولم أنجب أطفالاً!

قلت: ربما فكرت أن أسألك في ذلك . . ولكن لن أفعل وأسبابي في ذلك هي . . حتى لا تظني أنني أريد أن أعرف سنك .

فقالت: ما زلت في المرحلة التي لا أخفي فيها سني فأنا سأكمل عامي الخامس والعشرين بعد أيام .

فقلت: بعد أن طال بنا الحديث . . ما دمنا فشلنا في اللقاء العام . . فلدينا هذه الوسيلة وهي التليفون لتقولي ما تريدين قوله . وما زالت الفكرة المعلقة بباب رأسي موجودة وهي حضورك إلى بيتي . .

- مسألة بيتك غير واردة حتى لا تظن بي الظنون . . كل ما في الأمر أن لدي كلام أريد قوله من باب «الفضفضة» ولا أدري لماذا اخترتك لأقول لك . . والظروف قد حالت دون ذلك، وواصلت الحديث:

أصل أنا يا سيدي .

وشعرت بأن التليفون اغلق في وجهي فجأة وانتظرت . . ولكن لا فائدة!

وعاد التليفون بعد أكثر من ساعة، وبسرعة رفعت السماعة وبدأت قائلاً: أيوه يا ستي .

وإذا بالمتحدث أحد الأصدقاء ويقول: مين دي اللي ستك .
فقلت له: ساعات أقلد بعض أصدقائي والذين من طبعهم
يردون في التليفون بهذا القول . . وأحياناً يقولون: أيوه يا عمتي . .
وأيوه يا خالتي .!!
ومضت الليلة بلا متاعب باستثناء بقايا توترات المواعيد.
ومضات الظروف .
ومضت الأيام وأنا بين منتظر . وبين صراع داخلي في محاولة
نسيانها .

وفي إحدى الليالي استمعت إليها . . وكانت حدة التوتر قد
خفت . وقد استرحت إلى صيغة أجعلها غير موجودة حتى إذا
وجدت . وتستطيع أن تكون المسألة عادية . وحاولت اقناع نفسي
بأنني من الأفضل أن أخرج من تأثير ذلك الجمال . ويأما
جميلات . . ونهاجر إليهن بالعيون والأشواق فقط . . ويمكن أن
تكون صاحبتنا التي لا أعرف أسمها من ذلك النوع العابر وإن كان
جمالها هو جمال الدنيا كلها في واحدة . . وهي تعرف ذلك . .

ودارت هذه الخواطر سريعة في ذهني وأنا أرد عليها في هدوء .
ولم أشأ أسألها لماذا انتهت؟ المكاملة . . لأن المسألة لا تحتاج إلى
تفسير . . فهي تقول أنها زوجة . . وربما شعرت بأن زوجها يفتح
الباب . . والأمر في نظري لا يخرج عن ذلك . . لذلك لم أسأل .

فقلت لي من تلقاء نفسها.. على فكرة أنا ربما لا أستطيع الحديث معك تليفونياً كثيراً بسبب بعض الظروف التي لا تعلمها ويمكن أفل السكة في وشك فجأة فاعذرني ولا تغضب، وإذا ساعدتني الظروف على الاتصال بك من جديد سأفعل. وتصبح على خير.. أحسّ الأسانسير وقف وسامعة حد يفتح بابه. وكانت هذه المرة أخف!

وجدتني استريح لفكرة إذا حضرت كان حضورها.. وإذا غابت كان غيابها، «ويا دار ما دخلك شر!» وسارت حياتي عادية بعد ذلك إلا أن رغبتني في رؤيتها والحديث معها كانت تزورني، وكنت أريد أن أعرف ما بها ولكن ما حيلتي.. وأنا في كل ما توصلت إليه كان من أجل راحتي!

وعندما كان يأتيني حديثها مقتضباً أفرح وأغضب. أفرح بأنها لا تزال تصر على المعرفة برغم أنها لم تقل شيئاً حتى الآن، وأغضب لأن طريقتها في الحديث تجعلني اتعذب مع أشواقني وخيالي.

وكثيراً ما كنت أقول: لماذا اختارتك.. ولماذا هي حريصة على الحديث معك. ولماذا تقول حبيت أقول: صباح الخير في هدوء وزوجي في الحمام.

وحبيت أقول تصبح على خير وزوجي يجلس مع أصدقائه في الصالون.

وما آخر كل ذلك مع أشواق اللقاء . . والمحاذير فيه . . وعدم
الرجبة منها أن تجيء إلى بيتي . .

وتواصل الأيام مرورها . . واعترف أنها استولت على فكري
وعلى كياني . . وكنت أتخيل جماها . . وكنت أقول ربما كان هذا
الجمال مسكوناً بالمحنة . . وفي العيون الجميلة الأسى كله ولا
تبوح . . ولقاؤنا الأول كان ليلياً، والخوف من فضيحة مشاعري
جعلني أدير ظهري لها عند الحديث . . ولم ألمح سوى وجهها الجميل
الذي لم يظهر عمق الأسى فيه!

وأصبحت أنا مسكوناً بالوساوس والهواجس والرغبة في اللقاء!

ويحدث مختار صديقه أحمد . . ويعيد عليه القول: كنت
أخالفك في الحب . . فأقول إن الحب وعلاقتنا به علاقة سفر ورحيل
ومحطات ومسافات قد تقصر وقد تطول وأنت تقول: يبدأ الفراق في
لحظة اللقاء كأمواج البحر وعلاقتها بالشاطئ عندما نلتقي به . .
وحتى هذه اللحظة فالقول قولك يبدأ الفراق عند اللقاء . . وتصدر
تنهيدة طويلة من مختار عبد الله وصديقه أحمد لا يزال يستمع!

ويسأل مختار في حيرة: ماذا أفعل . . شيء غامض في نفسي
يحدثني بالآمال!

ويقاطعه أحمد قائلاً: لا تعول كثيراً على هذه الآمال لكيلا
تصدم . . واستمر بلا آمال . وانتظاراً لحديثها

فيقول: أكذب لو قلت أنني أصبحت غير مسكون بها.

فيقول أحمد: أنساها.. واقطع علاقتك معها.

ويقول مختار متسائلاً: كيف أنساها وهل المسألة بهذه البساطة؟.. وهي تذكرني بها عند حديثها التليفوني القصير. وبماذا تفسر ذلك؟.. ثم يقول مختار لنفسه دوغما انتظار لرأي صديقه أحمد.. لا يمكن أن يكون ذلك إلا اهتماماً.. والحب في أوله اهتمام.. وفي آخره حباية وهيام!.. وإن كنا لم نصل بعد إلى هذه الدرجة.. بل لم يزل بيننا وبينها مراحل.. من الود والصدقة والألفة والاعجاب والتعود، والغيرة. ثم الهوى والعشق والوله، والوجد والتتيم. وكل هذه درجات للحب، ونحن في أول الطريق أو هكذا أظن.

فيقول أحمد لي في اختصار: أنت خيالك واسع.

فأقول: إن الصدق في الاهتمام بهذه الجميلة يجعل الكثير من صور المستقبل تتابع في رأسي وتتدفق المشاعر بالأمنيات في قلبي.

فيقول أحمد ساخراً:

أدركني يا منى عيني!.. ثم يشعل سيجارة له ولصديقه مختار.

مختار: انت رايق!

أحمد: حدد علاقتك معها، واسألها هي عاوزة إيه بالضبط.

مختار: حسناً سأفعل عند أول حديث.. وهي مرة تفوت ولا
حد يموت.. واقطع الشك باليقين..

وتمضي به الأيام بالخير فيما يفعل. ولم تعد تتصل به. وتشتعل
مشاعره غضباً.. ثم يعود يحدث نفسه.. ويسأل:

لماذا أغضب. يمكن اعتبار أن المسألة انتهت. ربما كانت نزوة
وعدت صاحبتنا عن قرارها. ولكن يعود ويقول: كنت أريد أن
أقول لها كلمة أخيرة.

ثم يعاوده الشك من جديد. ربما تكون هذه الجميلة مغرمة
بتعذيب الناس.. فتسوق عليهم الدلال وتتركهم للخيال الحارق؟!
وتعيش هي في نعيم اليقين.. والهواية؟!
ولكن قلبي لم يطاوعني في هذا التفسير.

وأعود وأحدث نفسي وأسأل: ما جدوى الكلمة الأخيرة التي
أريد أن أقولها وأنهاي العلاقة؟!.. لا يوجد أحد في هذا الكون من
قال كلمته الأخيرة. وجميع الذين ماتوا ورحلوا عن الدنيا ماتوا دون
أن يقولوا كلمتهم الأخيرة بدليل أنهم لو امتدت بهم الحياة دقائق
أخرى لقالوا كلاماً جديداً. وعبثاً ذلك الذي نراه في الأفلام
والمسلسلات عن خرافة الكلمة الأخيرة عندما نجد ذلك الذي
يجمع أهله أو زوجته وأولاده أو محبوبته ثم يقول كلمة وبعدها
يموت!!

الحيرة.. والتردد هما أساس فكري في هذه الأيام.. ولا أعرف ماذا أفعل؟.. هل اجلس في البيت انتظاراً لمكالمة على هواها هي.. أم ابتعد حتى تئأس؟!

ثم أقول لنفسي: ما هي كل هذه الهواجس ودع الأمور تسير.. واترك الأمر لمستقبل الأيام.. ثم أنك - أحدث نفسي - لم يحدث لك ذلك الذي يسمونه الهزيمة في الحب.. فأنت لم تزل على البر ولم يصبك بلل مياه العاشقين ولكن فقط أصابتك هواجسهم! ثم أعاند نفسي فأقول: لا بد من لقاءها.. ولكن كيف؟ ويقطع تفكيرني جرس التليفون وأسرع إليه.. المتحدث رئيس الاذاعة ستسافر غداً مع وزير الخارجية في رحلته الآسيوية. وشعرت بفرحة المفاجأة. وأنا أعرف أن السفر بالدور.. وهذه الرحلة هي دور زميلي شكري فما الذي حدث وأسأل رئيس الاذاعة. فيقول لي: عملية الزائدة المفاجئة.

واتنهد: الحمد لله. ويبدأ قلق واكتئاب من نوع جديد ذلك الاكتئاب الذي يصادفني قبيل السفر حتى ركوب الطائرة وبرغم فرحة السفر ولكنها دائماً مقرونة بهذا الشعور الغريب. الفرحة للسفر والكتابة.. والفرحة بالعودة والكتابة أيضاً.

أحداث الرحلة وساعات العمل والسفر من جديد.. سحب الكثير من الأفكار عن سيدتي الجميلة. لم يعد هناك وقت أذكرها فيه إلا في لحظات عابرة وأنا أحلق ذقني في الصباح وقبل النوم..

ويكون الارهاق هو ذلك الشيء الذي يهزم الأرق والتفكير فيها . وكذلك الصباح الجديد يأتي بما فيه من أعمال جديدة . . . وتأملات الدنيا البعيدة كل ذلك يصرفني عنها . . ثم التحضير لدائرة إذاعية من إذاعة كل بلد ومتابعة المحادثات وكتابتها وإرسالها . كل ذلك جعل المساحة في عقلي وشغفي بها تضيق . حتى انتهت الرحلة وعدت إلى بيتي بالارهاق . . . وذهبت إلى عملي وقد خفت حدة التفكير فيها . حتى جاءت لحظة وجدت أن التفكير فيها قد يعرض مستقبلي للخطر . ف لأول مرة أسمع من رئيسي في العمل أن هناك اتجاهاً لمنعي من قراءة نشرات الأخبار في الراديو . ولما سألت عن السبب قيل لي : أن صوتك فيه أسي وهدوء وشجن لا يصلح للنشرة الاخبارية التي تتطلب الأداء الرصين بلا مشاعر أو انفعالات . وعرفت أن الجميلة قد تسلت في بدني حتى النخاع وسرت في دمي ووصل الأمر إلى صوتي . وكان علي أن أجاهد أن أنسى . وأن استحضر نفسي عند قراءة النشرة ولكن جاءتني ملاحظة من رئيسي في العمل تقول : من الملاحظ أنك ساعة قراءة النشرة أنك تقاتل . . . وتخطب ولا تقول الأخبار بتجرد واتزان !!

وعرفت علتي وعاودتني الحيرة . . هل أطلب اجازة حتى أبرأ أم استمر حتى أحاول أن أنسى وأحاول أن أعالج مسألة صوتي عند قراءة النشرة .

وبت ليلتي قلقاً على مستقبل أيامي ولا أعرف ماذا أفعل . .

الحرس يدعوني للرد على التليفون. . والمتحدث هي : الحمد لله
على السلامة قالتها في هدوء. ورددت عليها وأنا اتصنع الهدوء. ثم
سألته أنت فين. فقالت في هدوء : عايشة!

ومرة أخرى تصنعت الهدوء. بقالك زمان قبل السفر.

في هدوء أيضاً تقول : الظروف!

تزداد حيرتي بين الغضب والرغبة في أن أقول ما أدعيه بالكلمة
الأخيرة. . ثم تستمر لحظة صمت على التليفون وأنا أصارع نفسي .

. . وأقول لنفسي : هي لم تخطيء حتى أقول لها ما أريد أن
أقوله. ربما تكون لديها ظروف. . وكل ما في الأمر أن المسألة
وصلت إلى هذا الحد بسببي أنا لا بسببها هي . وأقول لنفسي
مواصلاً الحديث إليها ربما كان خيالي وجمالها مسئولين عن سبب
ذلك. .

فتقول في هدوء : ساكت ليه؟

أنا : أقول إيه؟

هي : اتكلم!

أنا : ليس لدي ما أقول. . ثم أقول بصوت به انفعال قليل
أنت التي تريدني أن تتحدثي وتحكي .

هي : وأنت .

أنا: لا شيء . طبعاً .

وأسمع أن السماعه قد وضعت على التليفون من جديد . . ولم
أنم ليلتها . . وسألت نفسي :

هل غضبت يا ترى عندما قلت لا شيء . . أم لأنها تخشى
مؤسستها الدستورية وسلطاتها الشرعية المتمثلة في زوجها . ويجوز
أنه قد حضر ففعلت ما سبق أن فعلته !

وأشرقت عليّ شمس الصباح بالظلام والألم . ووجدت نفسي
أتحدث بالتليفون وأطلب إجازة عارضة . واستعين بالمهدئات وأنا !

وفشلت المهدئات في اعطائي نوماً عميقاً . ولكنني كنت أقل
قلقاً ، وكنت من الظاهر أبدو هادئاً شارداً وفي داخلي معذباً ، ثم
رحت أهديء من نفسي ، وأتحدث إليها أيضاً .

فأنا أرى أنه من السهل انهاء العلاقة بكلمة غاضبة ، ولكن من
الصعب انهاء المشاعر تجاهها أو التفكير فيها . والمسألة ليست
بالبساطة التي يتصورها صديقي أحمد .

ان هناك شيئاً في داخلي يحدثني عنها حديثاً غامضاً . . أشبه بما
يحدث في الأحلام . . ومن الصعب أن أذكر تفاصيله في حالات
اليقظة . . ثم إن قلبي ينبض نبضاً خاصاً عند سماع صوتها . .
وهذا لا يحدث إلا في حالات الحب . . ولكن الذي بيني وبينها لم
يكن حباً . . ربما كانت أشواقاً إليها . . وجاءت هذه الأشواق بتأثير

الانطباع الأول.. ويبقى سؤالي معلقاً على باب عقلي.. من هي؟.. ومن أنا.. وما هو تفسير حالتي؟.. على وجه التحديد لا أعرف.. وكل ما أعرف هو ما أنا فيه من قلق مدمر!

وأعيش بين اليأس والأمل.. وأتعامل معها بالوداعة وادعاء الحكمة ووحشية الأشواق إليها تعربد في داخلي.

ويأتيني صوتها عبر التليفون في موعد لا أتوقعه.. وتتحدث قائلة:

حيث أجرب التليفون، ولدي إحساس أنك في البيت.. وإذا لم أجدك.. كنت سأحدث في وقت آخر.

فقلت لها: أن علاقتي بك حتى هذه اللحظة لا تستخدم فيها سوى حاسة السمع مثل العواجيز في الحب!

فقاطعتني: حب!

وكانت هذه هي المرة الأولى التي أنطق بها بهذه الكلمة، وجاءت على لساني ويعنيها قلبي.. ولكن لو فكرت ما وردت على لساني حتى لا أفضح نفسي منذ البداية الأولى..

ولكنني تصنعت اللطف وقلت لها: هذه نكتة فأنا أعرف موسيقاراً مشهوراً جداً، وكان مشهوراً بغرامياته، وأصبح الآن فوق السبعين.. ويقول عن نفسه لم يعد لي من زمان الحب سوى اذني.. أسمع فقط.. أما بقية الحواس فأصابها «العطل» بفعل

الزمن والشيخوخة . . حتى النظر فلم أعد قادراً عليه! ولذلك أصبحت علاقتي بك قاصرة على الاستماع في التليفون والذي أصبح القاسم المشترك الأعظم بيني وبينك .

وسألتني سؤالاً لم أكن أتوقعه: لماذا لم تتزوج؟

قلت: ولدي بعض انشراح الصدر في أنني نجحت في «مسح» كلمة الحب التي جرت على لساني .

يا هانم أنت تريدين أن تقولي شيئاً . . ولم يحدث حتى الآن انني استمعت منك إلى شيء . . حتى التليفون بسبب ظروفك لم يمكنك من قول ما تريدين!

أما عن زواجي سيتم عندما أكون قادراً على ذلك نفسياً واقتصادياً .

فقلت: لك شروط في الزواج؟

قلت: أبداً والزواج في نظري رجل وامرأة . . وإذا وجدت المرأة التي أريد الزواج منها سأقول لها: فلسفتي في الزواج وهو البعد ما استطعنا عن الموروث القديم في التجهيز والفرح، والمعازيم . . والفرش . والكوشة . لأن كل هذه الأمور لا تصنع سعادة، والسعادة هي أن أصحابها من بيتها إلى بيتي في هدوء . .

ولكنني أعرف أنه لا توجد فتاة توافقي على ذلك، فهي ترى أن مسألة الفرح ضرورية لأنها ليلة العمر بالنسبة لها، ومسألة

التجهيز ضرورية، لأنه بعد الزواج يكون من الصعب شراء كل ما هو مطلوب. فهذا منطق البنات. . كل البنات. . أما أنا فالبساطة هي منهجي في الحياة. . ولو جئت إلى بيتي فلن تجدي سوى ذلك الحصير الشهير الذي يعرفه كل أصدقائي وبجواره التليفون، وعدد من القلل أشرب منها مثلما كنت أفعل في القرية. .

قالت: بدهشة: معقولة دى؟!

قلت: يوجد سرير استخدمه في الشتاء فقط. . أما بقية الأيام فالحصيرة مسكني وأجد عليها راحتي!

قالت: غريبة. . أنا أتصور عكس ذلك. .

قلت: من حقا أن تتصورى ما شئت. . ولكن هذه الحقيقة وعليك أن تتأكدي إن شئت.

قالت: ألا يوجد كرسي للجلوس عليه؟!

قلت: الحصيرة أنسب مكان. . كما أنه يوجد كرسي وحيد للمكتب.

قالت: وأصداؤك. . يجلسون على الحصيرة.

قلت: أصدقائي يعرفون ذلك. . ويستريحون في ذلك. . وكله على الحصيرة يابا. . كله على الحصيرة يابا. . كله على الحصيرة. . زي كله في المواني يابا. . على رأي عفاف راضي. . كله في المواني!

قالت: سأحضر إليك غداً في التاسعة صباحاً فهذا أنسب موعد لي حالياً.. وسألتني: هل يناسبك؟

فقلت: كل وقت تحضرين فيه فهو مناسب.

وشعرت مرة أخرى بالخجل من نفسي في الاعلان عن حقيقة لهفتي عليها. ولكن هذا ما حدث. وأعطيتها العنوان.

ومضى نهار ذلك اليوم ثقيلاً، وغادرت بيتي لأنشغل في أي شيء.. الذهاب إلى النادي.. قراءة الصحف.. بعض الكتب وقد فشلت في قراءة واستيعاب أي شيء.

وفكرت في العودة للعمل في هذا اليوم.. ولكن أنا أخبرتهم بأنني مريض. وذهبت للطبيب. ثم أنها ستحضر غداً.. وربما تأخرت، الأمر الذي يجعلني لا أذهب للعمل..

فلا مخرج لضيق الوقت سوى بالسير في شوارع المدينة والسير في النادي، والسهر مع الأصدقاء.. حتى يجيء الصباح. والتقي بمعذبتني القادمة.

ولم أكن في حاجة إلى الاستيقاظ المبكر في هذا اليوم، ورغم السهر طوال الليل، أفكر فيها ورغم حديث الأصدقاء وبرغم الذهاب إلى ملهى ليلي بعد منتصف الليل للفرجة على «الغوازي» ولم تكن متعتي بالفرجة كاملة كسابق عهدي، بسبب كثرة التفكير فيها، حتى لما ذهبت إلى بيتي قبيل الفجر كانت معي في كل

شيء.. في دخان سجائري، وفي نبض قلبي . وفي تفكير لي لما
سوف يجيء به صباح اليوم .

ولما ذهبت إلى الحمام وجدته أغني ببعض أغنيات فرقة
الموسيقى العربية . وأردد موشح ملأ الكاسات لمحمد عثمان .
وكذلك دور أتاني زماني بما ارتضى فبالله يا دهر لا ينقضي . . ويا
ليلة العز دومي لنا . . فإن الحبيب علينا رضى .

ولما فتحت «الشغالة» الباب . . قتلت لها وأنا في الحمام :

أنا النهارده ورايا مشوار وهتعدى برة . . ومش جاي إلا في
الليل . . وأنت اجازة النهارده . . وذهبت بلا مناقشة واكتفيت
بالأفطار بيضة مسلوقة وكوب من الشاي !

وفي تمام الساعة التاسعة دق جرس الباب، وانتفضت مسرعاً،
مع الدهشة لدقة الموعد . . فهي ليست مثل معظم النساء، وفتحت
وتسبقي فرحتي، وصور لها في خيالي عن شكلها، وملابسها،
وكانت المفاجأة أن أجد شقيقي الكبير هو الذي بالباب !

وباحباط شعرت معه أن كل ما بداخلي ينهار . . وبكلمات لا
يقوى لساني على نطقها قلت : اهلاً يا إبراهيم !

ولاحظ شقيقي الذي أحبه كثيراً التعب الشديد وهبوط صوتي
وسألني : مالك !

قلت أبداً : تعبان شوية .

قال : سلامتك ..

قلت عن إذنك سأذهب إلى البقال دقيقة واحدة ..

ومضيت إلى أول الشارع انتظرها، وقدماي لا تقويان على حملي . وكنت ألعن الظروف . وأسأل: ما الذي أتى بأخي من القرية في هذا اليوم . ولماذا لم يتصل بي قبل ذلك كعادته؟ .. وانقطعت تساؤلاتي الساخطة على قدوم أخي الذي أحبه كثيراً وأفرح به .. عندما هلت المحبوبة التي لا أعرف اسمها ولم أسألها عنه .

وبعصبية قلت لها: أخي جاء من القرية فجأة . وأنا شديد الأسف .. ويمكن الاتصال بي لأشرح لك الظروف .. وصافحتها وأنا في محنة .. وهي في دهشة .. وسألت: سيظل طوال اليوم .. فقلت بعصبية أنا لا أعرف شيئاً!

ولم استطع الانتظار معها على الجانب الآخر من الطريق حتى تمرق بسيارتها التي أراها لأول مرة . وقادتها بعصبية أشبه ما تكون بقيادة الشباب الطائش! وعدت إلى البيت ومعني كل غضب الدنيا وهمومها وبعض علب السجائر . ولكنني فيما يشبه الاستسلام للقدر رحلت أتحدث مع أخي في هدوء .. عن تأخير الشغالة لاعداد الافطار له .

فقال : فطرت والحمد لله .. واستطرد يقول: أنا عيان منذ أيام ولما اشتد المرض .. وفشلت في الاتصال بك قررت أن أحضر إليك

مبكراً قبل الذهاب إلى الشغل لعرضي على الطبيب ..

فقلت: سلامتك .. وأنا أيضاً احتاج إلى طبيب. فسألني في هلع: فيه إيه كفا الله الشر .. أنا شايفك مش عاجبني ولونك مخطوف.

قلت: أبداً .. أبداً .. شوية ارهاق!

فقال: خذ إجازة .. قالحا بحنان الدنيا كلها .. فأخني هذا يعتبرني ولده البكر.

فقلت بأسى: أنا في إجازة!!

وسألت أخي برفق حزين عن أحواله: وكنت أقول: أنه من الأفضل دائماً الاتصال قبل الموعد للحجز مع الأطباء .. ولكن أنا وأنت على الله!

ومضت أيام لم تتصل .. وأنا مع اليأس لا أنتظر. حتى جاءني صوتها ذات مساء. ووجدت نفسي انطلق في كلام مسترسل: الحمد لله .. أخي سافر .. وكان عيان .. وفشل في الاتصال التليفوني .. ومش قلت لك: إنه لم يعد يبقى لنا من زمن الحب إلا حاسة السمع فقط مثل صاحبنا الموسيقار العجوز، وكنت أريد أن أجلس معك .. وأسعد قلبي ونظري برؤيتك .. وقد رأيتك «بهية الطلعة» مثل الصباح الجميل، وفيك اشراق الصبا .. وكأنك آتية من زمان غير الذي نعيشه .. كل ما فيه صناعي ومغشوش حتى وجوه

النساء . . أصبحت أجدها كأزهار البلاستيك . .

وقلت: كان «هلالك» الجميل في الطريق مثل القمر . . وكان
في وجهك السحر . . في عينيك الحذر!!

فقاطعتني: إيه دى كله . . كيف عرفت كل ذلك!!

قلت: أنا الذي أصبحت في حاجة إليك أكثر من حاجتك لي!

سأتحدث معك بلا حذر أو تردد . . فأنا أشعر تجاهك بعاصفة
من المشاعر . . مثل عاصفة العطر التي ملأت الطريق عند قدومك
السعيد . . والذي كان يمثل لي الفرحة والاحباط واليأس! ولكن
صوتك هذه الليلة جدد في نفسي الأمل!

عندما نلتقي سأقول لك الكثير . . سأقول قبل أن أسمعك . .
فأنا لا يمكن بعد اليوم أن أضع قيداً على حديثي وعلى مشاعري
تجاهك . . وأي شيطان ذلك الذي يضع للعواطف قانوناً . .
والعواطف مثل العواصف . . لا يمكن أن نفكر فيها بهدوء أو
حذر . .

فقلت في هدوء: تاني!

فقلت في حماس: تاني وتالت . . ولا يمكن أن نفكر فيما
حدث . . نفكر في الغد . . واللي راح . . راح!
وفي هدوء أيضاً قالت: أنا لن أستطيع مقابلتك إلا في مساء

يوم الخميس.. ثم قالت.. وأين نلتقي يا ترى هذه المرة بعيداً عن
أهلنا.. ومعارفنا؟!

فقلت: هنا.. هنا.. في بيتي.. وأنا في يوم الخميس كنت
«عازم» أحد أصدقائي للسهر في فرقة الموسيقى العربية.. إنما
سأعذر له أو أعطيه التذاكر هو ويذهب هو.. ويدعو هو من
يشاء.

فقالت: أنت بتحب الموسيقى العربية..

فقلت: بحبك أنت.. وشعرت بقدر من الخجل الذي
ساعدني التليفون بعيداً عنها وعن عيونها في البوح بما في صدري..
وإن كنت أعرف أنها قد عرفت ذلك.. فقلوب النساء ونظراتهن..
تعرف بالفطرة كل ما يجيش في قلوب الرجال.. والمرأة أكثر قدرة
على قراءة السطور في العيون ولا تقول.. وتكتفي باحساسها
الخاص لنفسها وتسعد بذلك..

فقالت: وكأنها لم تسمع كلمة «أحبك أنت»: أصل أنا بحب
الموسيقى العربية..

وعلى الفور قلت: يظهر أننا متفقان في كل شيء.. ولعل أول
شيء هو حبنا المشترك للموسيقى العربية..

فقالت: ما رأيك.. اعتذر لصاحبك عن الحفلة خالص..
وسأذهب معك إلى هناك.

فقلت : لكن هناك لا نستطيع أن نتحدث !!

فقالت : نسهر سوياً في بيتك بعد الموسيقى . .

وكانت مفاجأة شديدة . . ولم ينطق لساني بشيء !

فسألت : سكت لي ؟ !

قلت : أبداً . . نسهر في بيتي ؟ ! . . وقد استولى علي العجب والفرحة !

قالت : آه . . سأقول لوالدي أنني سوف أنام عند واحدة صاحبتني في هذه الليلة !

قلت : وزوجك !

قالت : لما نتقابل نتكلم . . فأنا منذ أمس في بيت والدي . . وأخي الكبير مسافر .

قلت : ولما والدتك تسأل عليك في التليفون عند صاحبك . .

قالت : صاحبتني أخذت شقة جديدة ولم تنقل التليفون بعد .

قلت : ولكن أنا خائف مرة صاحبتك تغلط . . عند أية مناسبة للحديث وتقول لأهلك بما يفيد بأنها لم تشاهدك في تلك الليلة . .

قالت بعصبية : أنت اللي خائف . . وألا أنا ؟ !

قلت في خجل : أنا خائف عليك أنت !

قالت: أنا أعرف اتصرف ..

قلت: يا حلاوة الدنيا .. يا حلاوتك .. أيوه كدة إمال!

وعمري ماهنسى ليلة الخميس .. على وزن عمري ماهنسى يوم
الاثنين!

ثم قلت: أنا خايف استرسل في الحديث .. ثم أفاجأ بأن
«السكة» قد أغلقت في وجهي!

قالت: انت عارف الظروف .. أظنك فاهم ليه أنا بعمل
كده.

قلت: أنا لا ألوكم .. ولكن بس أحب أعرف إن كان لديك
وقت للحديث؟

قالت: لا فيه .. اتكلم .. أنا دلوقت في بيت ماما والتليفون
في الأوضة .. وماما برة في زيارة.

ثم مضت بعد ذلك لحظات صمت .. قطعتها هي بقولها:
اتكلم.

قلت: راح الكلام .. ولم تبق لي سوى أشواق رؤيتك .. واصلت
معها الحديث وكان مثل الذي «يداري» ضعفه على كلمات قالها .. لا
هو نادم عليها .. ولا كان يريد أن يفضح نفسه .. ولكن على كل
حال الكلمة مثل الرصاصة عندما تخرج لا يمكن استعادتها ..

وقلت: أنا في الحقيقة لدي كلام كثير بالاضافة إلى الأشواق. .
وعلى رأي الشاعر نزار من أين غاليقي ابتدي. . وكل ما فيك
أمير. . أمير. . من أين يا جاعلة أحرفي مما بها شرانقاً للحريـر!!

وسمعت في التليفون. . تهيدة طويلة. . وبعدها جاءني صوتها
ناعماً: أكمل. .

قلت: هذه بعض ابيات وردت في مقدمة ديوان الشاعر
نزار. . وبس.

وسألتني فجأة: إيه رأيك في الحب. . أو هو فيه حب؟
فقلت: طبعاً فيه حب. . ما وجد الإنسان على الأرض. .
وهو إن لم يوجد لاخترعناه مثلما يقول نزار أيضاً. ولكنه جزء من
تكويننا مثل أعضاء الجسم في كل الكائنات الحية. . ولا رأي لنا
فيه. . فهو مثل الدين لا رأي للإنسان فيه. والدين قد شرعه الله
سبحانه وتعالى للإنسان من أجل سعادته.

وكذلك الإنسان وجد نفسه مع الحب ولا رأي له فيه لأنه
خارج عن قوانين البشر. . فالإنسان لا يعرف ما هو سر هذه
الانتفاضة وهذا الاشتعال الوجداني عند رؤية من يحب، ولا سر
هذا الهم العظيم عندما يفقد الإنسان من أحب. . أو حتى يغيب
عنه المحبوب؟

قالت: ربما أعرف ما تقوله. . ولكنه ليس بالضبط كما
قلت لأنني لا أعرف أن أقول مثلك. . ولكن كنت مؤمنة بالحب. .

وتزوجت عن حب وبعد ذلك ذهب الحب . . وبقي الغلب ! .
وفي حالة من الندم والكفر بمن أحببت وأنا على وشك الانفصال .
وقلت بما يشبه الاندهاش والفرحة الغامضة في نفس الوقت :
انفصال إيه لا سمح الله ؟

قالت : دي حكاية طويلة . . بعدين هتعرفها . . وسألت من
جديد . . المهم هل فيه حب مثلما نسمع به في القصص
والروايات ؟

قلت : وقد ارتديت عباءة الأستاذية : من جهة فيه حب . .
فالحب موجود . . لأن الحب في الأصل هو حب الإنسان لذاته .
قالت مقاطعة : هذه أنانية . . وأين التضحية في الحب مثلما
نسمع ؟

قلت وعباءة الأستاذية لم أزل أرتديها : ببساطة شديدة سأقول
لك . . أنك عندما أحببت . . وتزوجت عن حب . . كان في يقينك
أن ذلك سيحقق لك السعادة الدائمة . . وعندما تقولين أنك على
وشك الانفصال . . فهذا معناه غياب الحب ومعه السعادة . . ومن
أجل استمرار سعادتك ، ووضع حد لتعاستك ومن أجل انقضاء
نفسك التي تحبينها . . إذن فالحب من أجل سعادتنا والكراهية من
أجل سعادتنا بمعنى أننا نتمنى ألا تجيء الكراهية من أجل
استمرار السعادة . وأنت عندما تحبيني . . فأنت تحبيني لأن
المحبوب تجددين فيه سعادتك وراحتك . . وكذلك هو بدليل

عندما ما يحدث ما يضايقك منه يتحول الحب الى كراهية. أو غضب وذلك في حده الأدنى .

وسألته الرأي فيما أقول: ولكنها صمتت وطلبت مني أن أكمل وكأنها لا تريد أن تعترف أنها اقتنعت أو على الأقل أن هذا الكلام منطقي .

واسترسلت قائلاً: ومع ذلك فما أقوله هو اجتهاد منطقي والحب أكبر من كل ما نقول . . لأنني أتحدث في الحب بعقلي . . والمفروض أن الحب يبدأ حيث ينتهي العقل لأن الحب من أعمال القلب وكذلك الانفعالات والعواطف ، والعقل في العادة يفسد الحب . لأنه يحاول أن يفسر ظواهر الانفعالات اللامنتطقية عند العشاق ، والمسألة مثلما سبق أن قلت لا تفسير للعواطف التي تحتاج العاشق عند لقاء الحبيبة . وكذلك الحبيبة وانفعالاتها وقت اللقاء الحميم!

. . وقلت: إذا حاولنا معرفة أسرار ذلك نكون قد وضعنا الحب على مشرحة الجراح ليقطع أوصاله بحثاً عن شيء لن يجده ولذلك يبقى الحب جميلاً كما هو مثل الإنسان . . ولك ان تتصورني إنسان جميل في المشرحة؟!!

وعدت أسألها الرأي من جديد وبداخلي ما يشبه الزهو فيما قلت .

ولكنها قالت: يعجبني فيك القدرة على الكلام .

فقاطعتها قائلاً: كنت أفضل أن تقول: أنا اقتنعت أو أنني

أملك القدرة على الاقتناع . لا على الكلام . . لأن كل إنسان في استطاعته أن يتحدث حتى الأطفال والعاديين من الناس . . ولكن يبقى السؤال . . ماذا يقول الطفل أو المتحدث؟
قالت: مقتنعة يابيه!!

فقلت: أنت بتأخدينني على قد عقلي . . ثم أنه لا بهوية ولا ألقاب في الحب! . . . لأن الحب عندما يقرب بين الناس ويلغي المسافات بينهم . . فإن أول الأشياء في الاختفاء هي الألقاب وتلك الحدود التي هي من صنعنا . . ووجدناها من موروثات المجتمع . . وعليك أن تتصورى . .

وإذا بها تقول: طيب يا فايزة إن شاء الله أشرفك يوم الخميس بالليل . . وأسهر معاك . . وتصبحي على خير.

وعرفت أن أمها قد وصلت . . لأنها بادرت باغلاق التلفون .

وكانت هذه أول ليلة أنام فيها مستريحاً . . اللهم من بعض قلق الانتظار والتمني لو التقيت بها هذه الليلة . . أو على الأكثر في صباح اليوم التالي . ولكن صبراً . . فلم يزل هناك أيام ثلاثة بلياليها الطويلة بالانتظار.

ولكن على أي حال . . أهى راحة والسلام . . ووجدتني أدندن . . . بكلمات أغنية أم كلثوم: إفرح يا قلبي لك نصيب . . .
نبلغ منك ويا الحبيب . . إفرح يا قلبي!

الفصل الثالث

كنت أحدث نفسي.. ولا يزال صديقي أحمد يستمع..
وأقول:

آه يا مختار يا ابن عبد الله لو قدر لك الفوز بهذه الحساء التي
لا تعرف حتى الآن اسمها.. والتي برغم ما بيننا من كلام لم تشأ
أن تبوح به. ولكنني سأعرفه.. حتى لو قالت اسمها غير اسمها.
ولكن سأعرفه عندما تكون يوماً في فراشي.. وبعد ما تنسى كل
شيء وتبوح في نفس الوقت بكل شيء.. لأن النشوة تجعلنا في حالة
من الخدر اللذيذ الذي يذهب معه الخدر.. وهذا الخدر اللذيذ..
هو أقرب ما يكون بالحالة التي يزول فيها أثر التخدير في العمليات
الجراحية رويداً رويداً.. ويجد المريض نفسه يجيب عن كل سؤال
ولكن يا مختار.. أسأل نفسي: ما هي أسباب لهفتك على السيدة..
وهي ليست الجميلة الوحيدة في حياتك.. ولكن أعود فأقول
لنفسى.. هذه ليست جميلة فقط.. ولكنها عاصمة للجمال.. وإذا
صارت لي سأكون عمدة هذه المدينة.. وسوف أصبح أنا ذلك

الغريب في هذه المدينة وأصبح ملكاً على عاصمة العشق.. آه يا مختار!!

ما زلت أحدث نفسي وأقول: ثم إنه من الطبيعي أن أهاجر نحو الجمال.. ولو عرفت كل جميلات الأرض وبقيت واحدة.. لهاجر إليها الفؤاد.. وإذا لم تكن الهجرة حباً.. فهي في حدها الأدنى اكتشاف جديد ولذة جديدة.. ومتعة جديدة.. وذكريات جديدة.. ونبض جديد للقلب.. تجديد للنفس.. ومزيد من الثقة في النفس.. وفوق كل ذلك جلال التجربة الجديدة وانفعالاتها وروعها.

آه يا مختار.. فالليلة موعدك.. وستأخذ ألوانها من ألف ليلة ومن أساطير جواريا الحسان.

ليلة سأختصر فيها العمر.. وتعانقها روعي بكل تاريخ الصبا في الصبا!

ورحت أروي ما قالته الشاعرة فدوى طوقان في هذا الموضوع بقدر ما حفظته الذاكرة.. عن أمانها في لقاء حبيبها عندما قالت:

كلما صوتك ناداني إلى
موعد يحضنه صدر الأمان
عانقت روعي أمسية
كم تساقى الحب فيها والحنان
عاشقان

نسيا الدنيا عليها والزمان

آه يا مختار . . والموعد اقترب . . واللقاء أوشك . . ويصبح الحلم حقيقة . . حتى لما زارتني يوماً في الحلم عندما رأيتهما صحوت ولم أبلغ المراد . . يا خوفي يا مختار من مجرد اللقاء بغير صباة الهوى وعواصفه النبيلة، وأشواقه الماجدة . . يا خوفي يا مختار من الزمن الضنين حتى بالأحلام بمن نريد ونشتهي !

الليلة يا مختار ستقطف من ثمار أجمل البساتين . وتذوق أعظم فاكهة .

الليلة يا مختار لن أحتسي فيها شايًا أو قهوة أو حليباً أو كازوزة مثلما كنت تشرب . . ستشرب يا مختار من قلة الشربات والحليب والعسل والقهوة واللحمة في وقت واحد !!

وسيضيء في فراشي ألف قمر . . واستغني عن قمر السماء بالتطلع إلى بهاء أجمل قمر !

الله على عروس كل الأمسيات، وملكة كل الليالي التي حضرت في موعدها أمام مسرح سيد درويش للموسيقى . . أحسد نفسي قبل أن يحسدني الناس على هذا الجمال كله . . وهذا الدلال كله . .

أهلاً . . قلتها مختصرة وبقليل من الاضطراب الممزوج بالفخر . . وسرنا نحو الباب بخطوات ملكية . كما لو أن الناس قد

تحولوا جميعاً إلى حرس شرف للملكة والملك!! . . . وملت نحو أذنها
وقلت همساً: يا عيني على (المحن)! وكتمت ضحكتها!

وحياي من هم بالباب . . . ولم يسألوني التذاكر لمعرفة بي . . .
وسبقني من يريد أن يجلسني في مقاعدي المخصصة والثابتة . . . وأنا
كالعادة أعرف طريقي، ولكنني أترك «البلاسر» يفعل ذلك من باب
التقدير . . . وحتى لا أحرمة مما تيسر من البقشيش لزوم المقام العالي
في هذه الليلة. التي أريد أن تنطفئ الأنوار استعداداً لسماع
الموشحات الأندلسية . . . وكذلك استمع إلى صدى ذلك الجمال
الذي اتخيل أنه يصدر أجمل النغمات الخفية . . . والتي تحسها
أجساد كل من عرف الحب . . . وشرب من غسل الهوى المصفي!

في هذه اللحظة أخفي القليل من اضطرابي بالاستماع إلى
همساتها التي تتحدث عن جمال الموسيقى العربية. وأخفي نظراتي
عن الناس بقراءة برنامج الحفل . . . ثم أميل ناحيتها معلقاً على
بعض الفقرات المرتقة واستشعر نظرات الناس . . . وأهيم بنظراتي في
لا شيء وقد لفتني ضجة أحلامي وأمنياتي. ثم أميل عليها وأساها
في خجل . . . تصوري حتى الآن لم أعرف اسمك . . . وحتى ولو مجرد
اسم تتفقين عليه لأناديك به . . .

فقلت: اختر ما تشاء من الأسماء التي تعجبك . . . فقلت:
سحراً! ولماذا سحر؟ سألتني في خبث ناعم وبريق عينيها يلمع . . .

وربما تريد أن تسأل إن كنت أعرف واحدة بهذا الاسم وأريد أن أجدد حبي فيها!

فقلت: لأنك السحر كله.. ولقد سحرتني.. ثم أنك كل الأسماء الجميلة.. فأنت الفائزة والزهراء.. وأنت فوز وعزة وبثينة اللاتي عرفهن شعراء الغزل العفيف في الشعر العربي مثل جميل وعباس بن الأحنف وكثير. وأنت بستان المغنية التي تحدث عنها ابن الرومي.. وكانت جميلة عصرها وأنت ليل وسلوى ومنى وأماني.. وكل الأماني.

فقلت: كفاية.. كفاية.. خلاص لقد عرفت وحدك اسمي.. فأنا «أماني»..

وكنت أريد أن أقول: أماني كالأحلام زخرفها الكرى.. وقل على الأيام أن يصدق الحلم. واكتفيت أن أردد هذا البيت من الشعر بيني وبين نفسي.

وقطعت همسي ونجواي الهامس عندما تعالى التصفيق عند دخول المايسترو، وشاركنا الناس في التصفيق.

الله.. الله.. على جمال الموسيقى.. الله.. الله.. الله.. الله.. على جمالها.. وسبحان من أبدع.. وخلق وصور..

وأتمايل بفعل النشوة «والأماني» والنغم.

وتطلب المزيد عند نهاية موشحات وأدوار ملأ الكاسات

وسقاني . ويا عيني خدك وردي . وأنا أعمل إليه في دا الهوى . .
سحر الجفون . . خد مني قلبي . ويا ليلة الأنس دومي لنا فإن
الحبيب علينا رضي !

وكنت أشعر كأن الفرقة كانت تؤدي في هذه الليلة أجمل من
كل ليلة . وكأنها تغني لنا وحدنا .
وبرغم ذلك كنت استعجلها . . وأتعجل النهاية . . حتى أصل
إلى بيتي . . وتكون بداية تحقيق «الأمني» !

وكنت أقارن بين حبيبي وبين الموشحات الأندلسية . وكنت
أراها عربية . ومن أصل أوروبي . أو أوروبية من أصل عربي فهي
مزيج رائع لنوعين من الجمال الفريد . . كما لو كانت جمالاً مشتركاً
يباهى به الأوروبيون والعرب والمصريون في آن واحد ويشرفهم أن
ينتسب إليهم هذا الجمال كل على حدة . أو يعتبرونه الانتاج الفاخر
والممتاز لتلاقي الحضارات وتعاونها عبر العصور .

وها نحن في السيارة لمسافة قصيرة بعد انتهاء الحفل وتحفنا
أشجار الليل ومصابيح الشوق، وعرائس السماء وملائكة الحب .

وها نحن على أبواب البيت ونغادر السيارة . . ولأول مرة أنجراً
وأقبل يدها من ظاهرها، ومن باطنها في السيارة . . والبيت على بعد
خطوة أجده مضيئاً بكل أنواره . ويبدو أنني من بهجة اللقاء المرتقب
خرجت منه . وقد نسيت أن أطفئ أنواره . . وهذا على كل حال فال
طيب . . أن تستقبلها أنوار الشوق والترحيب في بيتي !

وأدرت مفتاح الباب، وبكل الفرحة قلت: تفضلي: واتسعت
فتحة الباب ويدي عليه والتفت إليها لتدخل وعيني عليها. ولكنها
كانت تتعثر في الدخول!

يا ليلة سودة!

وعندما اتسعت فتحة الباب شاهدت هي قبل أن أشاهد أنا
الهلول الأكبر.

شقيقتي الصغرى قادمة من القرية وتجلس في أسفل الثلاثرة في
صالة البيت وتخرج «بيض» من صفيحة دقيق جاءت به من القرية
وتخاف أن «ينكسر» عبر رحلتها من القرية إلى المدينة، وتضعه في
الثلاجة بكل هدوء!!

فصحت فيها بتلقائية وبكل كياني: إيه اللي جابك يا بنت؟!!

ثم تماكنت قليلاً وصحت من جديد: فيه بنت تسافر في الليل
إلى المدينة.

فقلت في هدوء:

أمي أمي قالت روحي لأخيك بالحمام ده أحسن بيجه..

فصرخت.. ولا حمام ولا زفت!

فقلت: أعمل إيه العربية اتعطلت عند بنها ٤ ساعات وأنا
المفروض أكون هنا الساعة أربعة أو خمسة. ولكن على ما جيت.

وأمي كانت بتقول أخوك «مجاش من زمان وهو بيحب الحمام.
وأخاف إن حضر البلد يكون الحمام كبر على الدبح!

فقلت: ياك دبح رقبتك.. تخليني أقلق عليك في الليل. وأنا
خايف عليك. قلت ذلك حتى أداري غضبي ومعني كل «الأمان»
التي انهارت وابتلعتها الأرض.. وأنا أيضاً..

ثم قالت شقيقي بكل الطيبة وهي تكاد تبكي.. فلم أسمع
لها بشيء: وقلت بعد أن التفت إلى كل «الأمان» والأمنيات:
تفضلي يا هانم التليفون جوه. قومي يا بنت «وري» الهانم
التليفون.. وهي جارتنا فدخلت «كل الأمان» على استحياء..
وهي تردد: أنا آسفة لازعاجكم. أصل أنا عاوزة أتكلم مكالمه
هامة أطمئن فيها على صحة أمي.

فقلت: أنا اللي آسف على الصراخ وقد نسيت حضرتك واقفة
على الباب، لأنني أخاف على البنات وسفر الليل.

وقادتها أختي الطيبة إلى حجرة نومي حيث التليفون وهي
ترحب بها ببساطة أهل الريف.

ثم استطردت تقول: وأمي قالت خدي معاك «ذكر البط» ده
كمان والفطير والقشطة اللي أخوك بيعبها. وما كنتش أعرف أنني
هتأخر في المواصلات. حتى عند المحطة.. انتظرت طويلاً حتى
وجدت «ناكسي» رضي يجيني شارع الهرم. ولا تزال أختي

تروي . . وأنا كل ما بداخلي يسقط إذا لم يكن سقط دفعة واحدة .

وإذا «بكل الأمانى» تخرج من غرفة النوم . . وهي تردد كلمات الشكر على تعبنا وتقول: وجدت ثمرة التليفون في بيت ماما مشغولة .

فدعوها للانتظار قليلاً قائلاً: ربما كانت مشغولة . . والبيت بيتك يا ست هانم - وشاركتني شقيقتي في الترحيب بها ودعوها على العشاء من طعام أهل الريف . وافتعلت الابتسامة، وكل الأحران تغطي وجهي . . فاعتذرت قائلة: يمكن التليفون لسه «عطلان» متشكرين مرة ثانية وتصبحوا على خير .

الحيرة مع كل الحزن يسكنان جسدي وبيتي . . وكنت أسأل هل يا ترى: فهمت شقيقتي؟ . . أم خالت عليها الحيلة؟! فشقيقتي خريجة الجامعة . وكانت تقيم معي في فترة دراستها وربما تعرف الكثير عن أحوال أهل المدينة وإن كانت قد ظلت تحتفظ بنقاء أهل الريف وسماحتهم وأخلاقهم . . وهي بالذات على خلق كريم لم أر مثله في معظم ما رأيت ومن عرفت من البنات، أو يا ترى تسرب إليها الشك وتحفظ به لنفسها ولا تبوح مثلما احتفظت بمفتاح الشقة معها منذ أيام دراستها ولم أشأ أن استرده منها . ولم يخطر ببالي ما سوف يحدث! وأصبحت فريسة للهزيمة والانهيار الداخلي .

وأسرعت إلى أقراص النوم لابتلع قرصين «فاليوم» عشرة

مليجرام مرة واحدة لعلني أسقط في النوم . . وإلا بعد قليل سوف
أموت صريعاً للذبحة أو انفجار في المخ . . وسألتني شقيقتي في
لطف إن كانت تحضر لي العشاء أو تجهز لي شيئاً قبل النوم .
فاعتذرت وذهبت إلى فراشي وكل الهموم تحاصرني . ولم أعرف متى
استغرقت في النوم .

ولم أعرف متى جاء الصباح . . و . . أو أصبحنا في أية ساعة
وقد جاء النهار الذي ملأ البيت . ولم أشأ أن أنظر إلى الساعة . .
وإيه يفيد الزمن . . أو النوم . . أو أي شيء . . وقد راح كل ما بنيت
من أحلام السعادة . . والجسد عليل . . والعقل كليل . وأصبحت
لا أقوى على شيء . وإن كنت قد افتعلت الرغبة في الطعام حتى لا
يبدو مظهري أمام شقيقتي أن في الأمر شيئاً . وكان الطعام لا ينزل
لي من زور . واكتفيت بأقل القليل كما لو كنت طفلاً رضيعاً ، وكنت
أنظر إلى سماحة شقيقتي ولا ألومها . . ولا أستطيع أن ألوم نفسي .

وأردد في سري هذا القول : أنا من ضحايا الحب !

فحبي لأهلي جعلني أضحي بحريتي الشخصية . وتبقى شقيقتي
معي في المسكن أثناء دراستها ، لأنني لا أستطيع أن أذهب بها إلى
المدينة الجامعية كما فعل أحد أصدقائي !

ولا يليق بي ولن أستطيع أن أسامح نفسي لو فعلت ذلك .
حتى لما وجدت بنت «الحلال» التي أحببتها وأحببني . . أجلت
زواجي منها حين إتمام دراستها . حتى لا تهيج زوجتي وتكون من

أسباب تعاسة شقيقتي أو تكون شقيقتي من أسباب تعاسة حبيبتي وزوجتي .

ولما طالت فترة عقد القران بلا زواج . . تراكمت الخلافات الصغيرة بيننا . وكان السراح الجميل بيني وبينها ، ولم يزل لها في الفؤاد مكانة عالية بالذكريات الجميلة والخلق النبيل ، والأصل الكريم ! أنا من ضحايا الحب . . أنا من ضحايا الحب !! أنا من ضحايا الحب . . وطيبة أهل الريف . . وطبايعهم ! . . فهذه شقيقتي مع الأولى . . وهذه شقيقتي مع الثانية ! وهي بكرم ضيافتها لعروستي بعد عقد القران لما كانت تزور البيت كانت تظل بالحفاوة لعروستي جالسة . وكنت أتمنى وكذلك عروستي الحبيبة لو تفارقنا قليلاً ، عندما كانت تزورنا أشواقنا لقليل من نجوى أو كلام حميم .

وتتوتر الأعصاب منا . وتغضب لأنفه الأسباب نظراً لأعصابنا التي أحرقتها الشوق المستحيل وكرم الأهل وحبهم !
أنا من ضحايا الحب . . والقرية . . والمدينة . . والجمال . . والكرم . . والشهامة . . وأخلاق الريف !!

حتى هذه اللحظة لا أعرف كم مضت من ساعات النهار . ولكنني استمعت إلى الأذان . . ولا أعرف إن كان الوقت ظهراً أم عصرًا . . كل ما أشعر به الآن هو الاستسلام للأقدار والرغبة في النوم . وشعرت بأن كياني كله مهدد !

وشعرت بالخوف على نفسي . . وعلى قلبي أثر الجرعة الكبيرة
للمنوم . . واستدعيت أحد الأطباء من الأصدقاء . وأخبرته بما
تعاطيته . فأصابه الفزع . . والذي انتقل فزعه إلى كياني أيضاً .

وأغلقت علينا الباب ورحت أفضي له بما حدث . . وهذأت عندما
أفضيت أو «فضفضت» إليه . وعندما قال لي : حسناً فعلت . .
ولكن أنصحك بالهدوء .

وعدم تكرار تعاطي مثل هذه الكمية مرة أخرى .

وقد خرج الطبيب على وعد بالعودة مرة أخرى بعد قليل . وقد
أعطاني جرعة من الدواء مرة واحدة . . ولا أدري ما هي ولا أعرف
لماذا؟!!

وأصبحت أشعر وكأن الدنيا شاحبة . . وهذا كل شيء في
داخلي . . ورحت في النوم من جديد .

ولا أعرف كيف سارت بي الأيام بعد ذلك . كل ما أعرف أنني
حاولت النسيان قدر ما استطعت . وعدت إلى عملي . ونجحت في
التخلص من نبرة الأسى والشجن في صوتي عند تقديم نشرة
الأخبار . واستغرقتني العمل أو حاولت الاستغراق فيه أو إغراق
هومي فيه .

وكنت أشبه بمن أصابته محنة . . ويحاول أن يتغلب عليها .
وحاولت أن أقلل من التفكير فيها . . حتى إذا ما هاجمتني ذكراها

رحت أستمتع إلى الراديو الذي نادراً ما أسمعه . . وأدير مؤشرات الراديو على كل المحطات . وأتحدث طويلاً مع أصدقائي في التلفون، وهذه ليست عاداتي . وأسهر طويلاً مع الأصدقاء .

وكنت دائماً أقول: من فضل الله على الانسان، أن كل شيء يولد صغيراً ثم يكبر . . إلا الأحزان تولد كبيرة ثم تصغر . وكنت في حالة من الرجاء أن تصغر أحزاني . وكنت كثيراً ما أذكرها ولكن كذكرى ممزوجة بالغربة . ولا زلت أقوم بعمل وأجاهد ألا يبدو شيئاً على وجهي . كما كنت أطيل فترة البقاء في العمل، وقبل ظهر اليوم وجدت الساعي يدخل، وهو يقول تفضلي دون أن يخبرني بشيء . . أو يخبرني أحد بزيارة تريد مقابلتي، وعلى العموم هذا تقليد الساعة في الاذاعة . . يمكن أن يدخلوا كل من يريد الدخول إلى أي مكتب . وكانت المفاجأة أن تكون «أماني» هي الزائرة . وقد مضى على ليلتي المشثومة معها فترة من الوقت تقترب من الشهر . وبكل ترحاب وانسراح في الصدر بدد أحزان القلب وجدتني مصافحاً وصائحاً . .

أهلاً ن . . من أم ديل .

لتعبير عن الحفاوة والفرحة .

وقبل أن تتحدث هي قلت: أي ريح طيبة حملتك إلى هنا .

قالت دون ذكر لأي شيء مما جرى في ليلة النكبة: تلفونك

دائماً إما مشغول . . أو لا يرد أحد فيه . وكنت في مشوار قريب من

هنا . . وجاءتني فكرة السؤال عليك . . وأزورك لو كنت موجوداً . .
والحمد لله . قالوا لي : انك موجود .

قلت : الحمد لله . . وشكراً لزيارتك .

وقلت لها وعيناى تلمعان بالعجب وعلى لساني الدهشة :
مرحباً بك . . فأنا بعد قليل على موعد مع الاستديو لتسجيل حلقة
خاصة مع ضيوف من رجال المال والسياسة والاقتصاد عن الحوار
العربي الأوروبي . وبالصدفة قد حضرت هذا الحوار في عواصم
أوروبا .

ثم قلت : يبدو أن الأقدار لا تريد لنا لقاء ، أو علاقتنا دائماً
تأتي مع الزمان الخطأ والمكان الخطأ . أو يبدأ فراقنا في لحظة اللقاء !

وقلت : لو أنني رويت قصتي معك يوماً . . لقال عنها النقاد أن
كثرة الصدفة في هذه العلاقة تفسد هذه الرواية كعمل فني . . وانها
خالية من الصراع والذي هو جوهر الدراما . .

وقالوا أيضاً لو أنني انتقلت من الدنيا بالموت من أثر جريمة
المنوم التي أخذتها في ليلة « النكبة » وزيارة شقيقي الغير المتوقعة . .
لقال النقاد أيضاً : أن المؤلف فاشل لأنه قتل أحد أبطاله لانها
الرواية . ولم يستطع حل عقدها عندما بلغت الأحداث ذروتها . ولم
ينجح في إيجاد الانفراج الطبيعي للأزمة .

وقلت موجهاً الحديث إلى نفسي أي صراع وأية صدفة وأية

نكبة أكثر مما أنا فيه وأي صراع أكبر من الصراع مع النفس والظروف التي تحاصر حينا؟ . . وماذا أفعل مع حب دائماً ما يجيء في الزمان والمكان الخطأ. ورفعت رأسي إليها. . ووجدتها تستمع بإصغاء تام. ثم نهضت قائلة: سأتصل بك في المساء. كما سألتني عن موعد إذاعة هذا البرنامج؟ واستمعت إلى مكالمتها التي جاءتني هادئة كالمساء، وأنا في حالة من الاسترخاء التام. . وكنت أستمع إلى حديثها. . وهي تروي أن والدتها تأكدت بالصدفة أنها باتت ليلتها في منزل صديقتها فايضة، عندما شاهدت إحدى الصديقات صدفة، وراحت هذه الصديقة تروي لأمها قصة ذهابها إلى بيت صديقتها فايضة ووجدت «أمانى» هناك.

وسألتني: كيف أمضيت ليلتي. . وحكيته. . وسألتها وأفاضت في القول لي. . بعد ما رويت لصديقتها فايضة وقائع أخرى عللت فيها رغبتها في المجيء إليها.

ثم سألتني بشكل مفاجئ:

لم أفرح وأنا أستمع إلى برنامجك الخاص عن الحوار العربي الأوروبي. وحزنت مرتين. . الأولى عندما عرفت أن أوروبا غير جادة مع العرب في إعطائهم العلم الحديث لبناء تقدمهم، برغم أن أوروبا تنعم برخائها لوجود الأرصاد العربية الضخمة في بنوكها. والثاني، أن حضارتها في العصر الحديث قائمة على مصادر الطاقة العربية، وهم مثلما كانوا في العصر الاستعماري لم يتغيروا. وظلوا

كما هم . . يعتمدون في رخائهم على استنزاف الشعوب الفقيرة .
وأي منطق هذا الذي يسوقونه في أن العقل العربي لا يستطيع
استيعاب العلم الحديث ، وهذا ما يجعلهم يرفضون . وأي منطق
ذلك الذي يجعلهم يقولون أن مصانع البتروكيماويات المراد إقامتها
بجوار حقول البترول العربية هي سلع استراتيجية لا يسمحون
ببيعها للعرب ؟!

وشعرت بسعادة لم يسبق لها مثيل في أن محبوبتي لم تكن ذلك
الشكل الجميل والجسد المرمرى الرائع فقط . ولكن لها بعد ثقافي
عميق . وقلت لها ذلك . .

فقالت : أنت نسيت أنني خريجة تجارة ودرست السياسة والا
إيه ؟

وشعرت هي أيضاً بالسعادة لأن كلماتها كانت لها صداها
الجميل في نفسي .

وسألتها وما هو الشيء الثاني الذي أغضبك ؟

فقالت على استحياء : إنني كنت في انتظار أن أسمع صوتك . .
ولكنك تركت الميكروفون لضيوفك يتحدثون . . وعلى فكرة دي
صفات الإذاعي الناجح . . إنما أهو رغبة أو سمها أنانية في رغبتى
للاستماع إليك عبر الأثير . ربما كنت أحدث نفسي . . ربما كنت
أريد أن أقول لصديقات ولا أستطيع أن ذلك الصوت الذي يملأ
الدنيا . .

وصمتت . .

وشعرت بكل سعادة الدنيا . لأنه يستمع للمرة الأولى أول
اعتراف بالحب . . وإن كانت كل تصرفات أماني تشي بالحب . .
ولكنه كان يود لو استمع منها إلى مثل هذه الكلمات . . وطالبت أن
تكمل حديثها برغم تقديرى لخبيلها . . وسألته مرة أخرى بماذا
كنت تريد أن تقولي لأصدقائك؟ .

وترددت قليلاً . . وقالت بصوت خفيض يلفه الخجل . . كنت
أريد أن أقول: إنني أعرفه معرفة شخصية!
فقال: بس كده . .

فقلت بصوت في نعمة ودلالة: بس كده . . أمال عاوز أقولهم
إيه؟

فكرت في حاجة ثانية :

قالت عارفة إنك عاوز تسمع إيه؟ . . لكن الباقي أفهمه أنت
وحدك .

وفجأة سألتني . . ولم أزل في حالة النشوة لذلك الاعتراف
الذي كنت انتظره . . برغم أنني ألمحه في عيونها . . إنما أن أستمع
إليه فهذه هي السعادة كلها . وسرحت في نشوتي الذاتية وفرحتي
الداخلية . .

وحاولت أن أستعيد سؤالها .

فقلت: هل تحيي إلى بيتي؟

فقلت باندھاش لم أشعر مثله: أنا؟!

قلت: أمال أنا.. أيوه أنت؟

قلت: أي بيت؟!

قلت: بيت ماما!

قلت: وماذا أقول لماما.. وماذا تقولين عني لماما؟!

قلت: وانت مالك!.

قلت: وأنا مالي ازاي.. وأنا لا أعرف ماما ولا بابا.. ولا

أخواتك.. ولا حاجة.. ثم إنني جبان جداً.

قلت ضاحكة: مفيش لا بابا ولا أخوات.. بابا ومات..

وإخواتي واحد مهاجر. وأختي متزوجة في الخارج من أحد رجال

السلك الديپلوماسي. وماما مسافرة بكرة بورسعيد عند خالتي

وستعود بعد يومين.. إيه رأيك؟

قلت: رأيي يا ست هانم.. دا من رابع المستحيلات.. وما

دام الحكاية كده.. تعالي أنت إلى بيتي.

قلت: حرام وتوبة.. كفاية!

قلت: حكاية إنني أجيء إليك مستحيلة واطرديها من رأسك

تماماً!

قلت: لا تخف.. أنا عاملة..

ثم سمعت كلمة باي باي يا فائزة تصبحي على خير. وأنهت
المكالمة .

وعرفت أن أمها شرفت - وخافت لو استمعت إلى بقية
الكلام .

وقلت في سري : قال بيت أمها قال!

طيب إذا كانت هي مش قادرة تكمل حديثاً تليفونياً خوفاً من
أمها . . ماذا سيكون حالها لو جاء رجل غريب إلى بيتها؟! .

نام . . يا ولد نام!

ثم رحت أفكر كثيراً في الاقتراح . . وفي الكلمة التي لم تكملها
(أنا عاملة . .) وأخذت متردداً بيني وبين نفسي هل أذهب . . وكل
ما فيها يغري بالذهاب إليها . . يكفي متعة النظر إليها. ولكن ما
حيلتي مع الخوف .

وأقول : هل تكون هذه الجميلة أشجع منك؟! .

ولماذا لا أذهب . وبانت في خيالي مع صور وخیالات لما
سوف يتم لو ذهبت من كل ألوان السعادة التي سوف تأتيني من
كل باب . ووجدتني أشعر بالندم لأنني رفضت .

ولما جاءني صوتها في الصباح وجدتني أقول لها :

أنا موافق على المجيء إليك . . قلت ذلك تحت تأثير خيالي عنها

في الليل، وصور الجمال المختلفة التي رسمتها لها من آمالي، مع وضع سيناريو كامل لهذا اللقاء السعيد المشوب بالخذر والخوف. . ولكنني أفضل من ذلك الحرمان منها الذي أخشى أن ينمو في قلبي مثل جذوع الشجر القديم.

وفرحت هي بالموافقة.

وقبيل المساء أعددت نفسي للقاء. وقبل العشاء وكنت في طريقي إليها. . والخوف يملؤني، وأشعر وكأن حصي الأرض في الطريق تعرف إلى أين أذهب وماذا أنوي أن أفعل بمن أقابل. وكنت أتخيل عيون الناس وأتخاشاها. خوفاً من أن تفضحني مشاعري ونواياي في ذلك اللقاء.

هأنذا في هذه اللحظة تخطو قدماي الخطوة الأولى داخل بوابة العمارة الفخمة ومدخلها الواسع الذي يدل على أن سكانها من أكابر القوم.

ويستقبلني البواب بالتحية.

وأرد برباطة جأش مفتعل وكلمات مقتضبة: الدور الخامس.

وفتح لي باب المصعد. . وصعد معي. وعند الدور الخامس نزلت. ووضعت يدي على جرس إحدى الشقق، ولكن دون أن أضغط على جرس الشقة ودون أن يلحظ البواب الذي هبط بالمصعد إلى أسفل. ثم أسرعت أنا إلى الدور السادس صاعداً

حيث تسكن . ووجدت باب الشقة التي حددت رقمها «مواربا» قليلاً . وبجوار شقة عليها اسم أحد الوزراء السابقين . وفتحت الباب ودخلت بسرعة . وطبعت على خديها قبلة خائفة . . ثم سقطت جالساً على أول مقعد في الصالة . وقد التقطت أنفي رائحة شواء ومأكولات خارجة من المطبخ .

ومدت يدها تسحبني إلى الداخل وهي ترتدي «روب» وقد «فكت» حزامه . فبدت من داخله أروع من الخيال . . هذا الجسد السمهوري الجميل لا يلتصق به سوى «سوتيان» ومايوه !!

وشعرت أن حلقي قد جف . وأن صوتي قد غاب . وأن آلاماً في الظهر قد بدأت تشتد . وكلها حالات لم يسبق لي أن عانيت منها .

واندهشت لترددي وسوء حالتي . وصدرت ضحكة وهي تقول : أنت خواف لهذه الدرجة ؟ . .

ولم أنطق بشيء .

وسمعت رنين جرس الباب . وشعرت أن روحي تصعد إلى بارئها وليرحمي الله . ولها الفضيحة !! .

وفي هدوء سحبني إلى غرفة وأنا مثل الجثة التي يحركها الرعب ولم تفلح في تحريك . ووجدتني أتحرك بسرعة إلى أقرب مقعد من الباب وضعت ساقاً على ساق . . في انتظار لحظة طلوع روحي

بعدها أعرف من الذي بالبواب، ووجدتها تتحدث مع البواب بعد أن فتحت الباب فتحة صغيرة جداً، وتحاول إنهاء المحادثة.

وإذا بالبواب يقول يا بيه أنت غلطت في الدور.. ونزلت في الخامس بدل السادس. ولم أرد عليه ووجدتني انتفض وأقول لها: إطمئني.. أخوك في الخارج بخير وهذه رسالة وأخرجت ورقة من جيبى ومددت يدي بها، وكان البواب قد نزل وأغلقت الباب.. ووقفت تضحك من شكلي الذي «فككه الخوف» وهيئات أن يعود إلى وضعه القديم.. ووجدتني أفتح الباب وأنزل مهرولاً على الأقدام هابطاً السلام، ودونما كلمة وداع. وهي في حالة من الدهول!

وشعرت بفرحة عبيطة عندما شاهدي البواب نازلاً كدليل براءتي وودعني واقفاً.. وقد غمرتني سعادة كبرى أن قال لي: ليه ماركبتش الأسانسير يا بيه؟! فلم أرد عليه، وأسهرت إلى عرض الطريق. والسعادة تلفني.. وقد عادت إلى الحياة. بعد ما شعرت لحظة انني فارقت الحياة. وأخذت أردد كلمات التسبيح والشكر لله! ولم يعد إلى نفسي صفاؤها وهدوؤها إلا بعدما ألقيت بنفسي على فراشي. وبعد ذلك الهدوء رحت أسأل نفسي: لماذا كل هذا الخوف في الحب؟.. وقد كنت شجاعاً في صباك المبكر، وقتما كنت في القرية. وتأتي بمجنون الأفعال في الحب بلا خوف.. وهل الشجاعة تولد مع الخوف.. أم كنت في صباك متهوراً.. وأصبحت في الحب عاقلاً بتقدم سنك؟! وأقول: الحب طفولة يا ولد وتفسده الحكمة!

وتذكرت حادثة حب متهورة وقعت لي في بداية شبابي في القرية.. . عندما صادفت المحبوبة داخل بيتي مع أخريات جئن جميعاً للفرجة على عدد من عربات الكارو التي تحمل جهاز عروس.. . وحضرن لوجود بيتنا على الطريق العمومي. وانهزت فرصة انشغال الجميع بالنظر إلى طابور عربات الكارو.

وكنت أنا وحبيبي خلف الصفوف في حالة من النجوى والحب.. . وقد تخلت عني كل أسباب الخوف.. . لدرجة أنني تصورت أن الخوف كلمة لا أعرفها أو لا أعرف معناها.. . مع العلم لو تلفتت واحدة أي واحدة خلف ظهرها لأي سبب من الأسباب لوجدتنا.. . وطبعاً تصبح فضيحة (بجلجل) في هذا المجتمع المحدود. وتصبح قصتنا على كل لسان. فما بالك أنها كانت تحدث وسط الملاء الأعلى؟! وأسأل من جديد: إذا كانت القرية محاصرة بالأهل والضيوف وكل المعارف.. . ولم يكن بها مشكلة حب ولا خوف وهي أدعى للخوف.. . فهل تخاف في المدينة الكبيرة التي لا يعرف الناس فيها أحداً. وتجدر سرادق الفرح وسرادق العزاء في الموت متجاورين وتسمع ميكروفونات تذيع عدوية وفاطمة عيد في ليلة فرح مع ميكرفون للقرآن الكريم من بيت واحد؟!

هل شجاعتك في الصبا هي التي قادتك إلى الخوف في شبابك أم أن الخوف هو الذي يقود إلى الشجاعة عند الخطر وكانت أسئلتي

بلا جواب . وقطع تفكيري تليفون منها ويحييني صوتها مستنكراً
هازئاً: حمد الله على السلامة . وبكل خجل قلت: الله يسلمك!

قالت: ماذا قلت؟

قلت: لا أدري .

قالت: لمصغ

قلت: من غير كلام ولا سلام . . يا ست هانم إذا كنت عاوزه
تشوفيني . . فسيكون اللقاء هنا في بيتي . . وهذا آخر كلام .
والسلام . ولأول مرة أغلق أنا السماعه في وجهها، فعادت تطلبني
من جديد معاتبه أن أغلق التليفون في وجهها!!

فقلت: مرة من نفسي . . وأنا أتلقى كل ذلك في كل مرة .

قالت: بس أنت عارف أنا باعمل كده ليه .

قلت: وأنا مش عارف بعمل كده ليه . .

قال: متى هشفوك . .

قلت: في بيتي

قالت: آخر كلام؟

قلت: من غير فصال!

قالت: وكأنها ألقت قبلة لما سمعتها تقول: أنا جاية لك بكرة
الساعة أربعة!

فقلت: في ضعف مرحبا!

قالت: مش بتقولها من قلبك.

قلت: لم يعد في قلب.

قالت: للدرجة دي؟

فقلت: وقد استجمعت بعض شجاعي: أصل قلبي من
الفرحة سبقني إلى خارج جسمي استعداداً لاستقبالك والحفاوة بك
في الغد إن شاء الله.

وليلتها نمت بلا خوف وتركت نفسي لمستقبل الغد. . بعد أن
استنفذ جسدي كل مشاعر الحب والخوف والاندھاش والصدفة
والمفاجأة!

ونمت وكأن الأمر أصبح لا يعني. وبات في يقيني ربما كانت
جميلة الجميلات محجة ضد اللقاء ومحصنة ضد اقتراب الرجال.
وامرأة ممنوعة من الحب.

خلاص. . لم يعد لدي شيء أفعله أو أتوقعه. وأخذت أتلو
بعض آيات من القرآن الكريم ودخلت في النوم بعد ما اطمأن قلبي
بذكر الله.

الفصل الرابع

ذهبت إلى عملي كالمعتاد . . وانشغلت به وعدت مبكراً وسألني
الشغالة إن كانت تجهز لي طعام الغداء . واعتذرت . وطلبت منها
الانصراف . . لأنني أريد النوم .

وكان في نيتي أن نتناول الغداء سوياً عندما تحضر «أمانى» وتقوم
هي بإعادة تسخينه وإعداده .

وقالت الشغالة تذكرني بأنني في الصباح طلبت منها إعداد
أصناف متعددة من الطعام، وشراء أنواع من الفاكهة . كما شاهدت
بعض لفائف عرفت هي من شكلها أنها لفائف حلويات . . الأمر
الذي يدل على أنني سأستقبل ضيوفاً على الغداء .

ولكنني أعدت عليها القول بأنني مرهق وسأنام . وطلبت منها
الرحيل .

وحان موعد وصولها . ولم تصل . ولما بلغت الساعة الرابعة
والنصف ساورتني الشكوك والهواجس . . وهي لم تتعود أن تتأخر
عن موعدها .

وفي الرابعة والنصف استمعت إلى رنين الجرس . فقفزت مسرعاً نحو الباب . . وبكل ترحاب وفرحة اللقاء . . الذي بدد أحزان كل أيامي عانقتها طويلاً . . طويلاً . . ورحلت في شفتيها إلى رحلة عبر العوالم السحرية والمجهولة . وحملتني أشواقي إلى السماوات العالية . . وكنا لم نزل واقفين خلف الباب . . ولم أطلب منها أن تجلس أو تستريح أو أي شيء . . كنت كطفل عاد إلى صدر أمه . . بعد أن خطفه مجهولون!!

وكان لقائي مزيجاً من الاضطراب والفرح والذكريات. الأليمة .
وأول كلمة أقولها بعد هذا العناق . . وبعض الدمع الثابت في العيون . . وبعض حشجة في الصوت . . قالت : اليوم عيد .
ولقد ولدت من جديد يوم التقينا برغم اليأس في لقاء جديد ، اليوم عيد!! . . اليوم عيد!!

وكان الراديو لم يزل مفتوحاً على محطة أم كلثوم . . كنت أتسلى قطعاً للوقت والانتظار قبل القدوم . . ولم أتذكر أن أغلقه . .

وجاءت موسيقى مقطع : هات إيديك تراح للمستهم إيديا . .
هات عينيك تسرح في دنيتهم عينا! . . والعزف المنفرد على كمان العازف الشهير أحمد الحفناوي يجعلني أتمايل مع إيقاع هذه المعزوفة . . مع حلاوة اللقاء وروعته وما أحلى حبيتي وما أجملها وهي ترقص على هذه الموسيقى ، وتتخلى عن ثيابها . . مع الاستمرار في الرقص مع الموسيقى . .

وعندما تشدو أم كلثوم بالكلمات: هات عينيك تسرح في
دنيتهن عينا . . أقول بصوت عال: يا عيني عينا آهه! هذه يدي . .
وهذه عيني . . وأشياء أخرى!

وعندما تقول أم كلثوم: هات إيديك تراح للمستهم إيديا . .
وإيديا آهه . . وأرقص . . وعينا على كل شيء فيها . . والفرحة
تزلزلي ولم أسألهما لماذا تأخرت . . فقط قلت لها: انشغلت عليك!
فردت باختصار: زحام الطريق.

فقلت هل تعلمين أنني في انتظارك على الغداء . . وكل شيء
جاهز في المطبخ لتجهيزك أنت . . وأنت التي ستأكلين أما أنا
فغذائي من فاكهتك ومن بساتينك!

ودخلت المطبخ كما هي . . وكانت ترقص وأنا معها . .
فهمست في أذنها قائلاً: إنك حقاً سلسة! فصدرت منها ضحكة
عالية . . اهتزت لها جذران البيت، وبدأ العرق ينزف من جبيني . .
والخوف يسري في بدني على صوت الجارة أمام بيتي وقد وقفت ببابي
تسب وتلعن وتصيح في الناس بأن هذه الشقة يسكنها المجنون
والفسق! ولاحظت أمانى قلقي واضطرابي . . ونزيف العرق ينزل
بالخوف على وجهي وفي عيوني.

فقلت: دعني لهذه السيدة وأنا لي تصرف معها . . ثم إنك في
بيتك لا شريك لك! . . وأنت حر!

ولكنني قلت في هدوء: هذه الأمور تعالج بالحكمة ودعك منها. . . ولنا تصرف بعد الغداء.

وأعدت هي السفرة. . . وقلبي قد وصل إلى أسفل قدمي. . . ولا أدري بماذا أتصرف. . . وقد سمعت بعض «همهمة» للسكان.

ولاحظت أمانى أنني لا أكل. . . أو أبلع الطعام ببطء شديد. . . فإذا بها تقول: خائف حتى في بيتك. . . ثم تقول: دعني لها. . . لأنك لو خرجت إليها ربما ترمي بلاويها عليك. . . ولا يهزم المرأة إلا المرأة. وتوقفت هي عن الطعام وقد ارتدت ملابسها. ولكنني توسلت إليها أن تتصرف في هدوء ولي تصرف معها. . . وسوف تسمعين به.

وفعلًا خرجنا وكأننا لا نسمع شيئًا. واصطنعت حديثًا أو حوارًا حول موضوع تدل كلماته على أنها إحدى قريباتي. . . أو صغرى خالاتي. . . مع كلمة إنذار قلتها في الهواء وأنا في الطريق إلى الباب سأجعلها ترحل من هذا البيت!

وركبت معها سيارتها. وطلبت منها أن نجلس قليلًا في أحد الكازينوهات المطلة على نيل الجيزة ووافقت.

وعندما اقتربنا من الكازينو التفتت بي تستند على ذراعي بسبب أعمال الحفر في الطريق، وكثرة وجود مواد البناء في الشارع. وشعرت بحرارة جسدها تسري في بدني.

وجلسنا صامتين نستقبل نسيم النيل ، ولا أجد للمنظر البديع
طعماً يعوضني عن فرصتي الضائعة في الحب والوجد والصبابة والوله
والهيام بمن أحبيت!

ولم أجد في نفسي القدرة على سؤالها عن موضوعها الأصلي
الذي اتصلت بي في بادئ الأمر من أجله .

وبعد قليل . . همت واقفة وهي تقول : أنا مضطرة للذهاب إلى
البيت دلوقة . . لأن من المحتمل أن تعود أمي من بور سعيد
فجأة .

وباستسلام وجدتي أوافق . وقالت وهي تتركب سيارتها وتفتح
بابها من الداخل لأركب بجوارها : لا بيتك ولا بيتي نافع . . ولا
فندق . . ولا نادي نافع . . وكله بسببك أنت .

فقلت : أنت أشجع مني !

وبعد قليل طلبت النزول . . فقالت : أنا هاوصلك . . فادعيت
أن لدي مشواراً قريباً من هذا المكان .

وتركتها وبصري معلق بسيارتها حتى غابت في الزحام . وعدت
إلى بيتي سائراً على الأقدام . . لعل الإرهاق يمتص غضبي
وانفعالاتي . . وأفلق في النوم بلا مهدئات . . وأخذت طوال الطريق
أقول : لقد جاء حبي في الزمان الخطأ . . والمكان الخطأ . وسوف
أترك نفسي لأيامنا القادمة .

ومضت الشهور وتعاقبت . . . وكان حبيتي قد ضاعت في
الزمان . . . وأصبحت أشواقى تنادي إليها من حين إلى حين عندما
تحتل كياني صورتها شبه عارية مرة في بيتها ومرة في بيتي . . . وأحاول
النسيان .

وكنت وكأن الظروف تحالفت على حبي الجديد . . . وعلى حبي
الوليد . أو عليها هي . . . أو علينا معاً . ثم لماذا هي التي تختصها
الظروف بكل هذه المواقف . وتخصني بالحنة .

. . . وكانت الحيرة هي الجواب . . . أو فصل الخطاب ! ومثلما كان
يحدث في كل مرة . . . حدث هذه المرة . جاءني صوتها بعد غياب
طويل . . . ورحت أسأها عن أحوالها . وأزف لها بشرى رحيل جارتنا
من العمارة . . . بعد موقعة حربية شهيرة انتصرت فيها إحدى
الجارات . . . بعون ومدد من الأهل الذين صاروا يضربونها هي
وزوجها في كل يوم حتى اضطر زوجها للتوقيع بالتنازل عن الشقة
بعد عهد من صاحبة البيت أن تدفع له مقابل أجر خلورجل لشقة
أخرى .

وشهد جميع السكان في قسم البوليس باعتداءات هذه السيدة
عليهم . وأن لها سوابق في الاعتداء على الناس .

وأحكي لها آخر موقعة مثل موقعة نابليون أمام نلسون في أبي
قير . . . والتي فر بعدها نابليون عائداً إلى فرنسا . وطلبت منها

الاحتفال في شقتي بهذه المناسبة السعيدة ووعدت بأن ذلك سيكون قريباً. مع تحفظ بأنها أصبحت لا تترتاح في الذهاب إلى مكانك الخطأ كما تقول. . فأعود وأكرر القول. . والزمان الخطأ أيضاً.

وبعد أيام حددت هي موعد اللقاء القادم في اتصال ليلى مثلما كان يحدث. ولأول مرة أقول: إن السيدة لا تعاني من مشكلة. . أو أن مشكلتها هي من اختراعها. . لأنه كان بوسعها أن تتحدث فيها ولو مرة بالتفصيل في التليفون، وكنت أحاول أن أقول من باب الثقة بالنفس أنها تحبك. . ولكن سرعان ما كنت أطرده ذلك الخاطر المغرور. . بأن لديها مشكلة. . ثم أحبت بعد ذلك. . وأن الذي لم يمكنها من ذلك هو أن التليفون قد لا يجعلها تستطيع أن تقول كل حكايتها ورأيي فيها في آن واحد.

ولكنني قلت لها عندما حددت لي الموعد. . أنني سأكون في بيتي قبيل هذا الموعد. . وقبل ذلك سأكون في الخارج لموعد على حفل في منزل أحد السفراء الأصدقاء بمناسبة العيد القومي لبلاده. وقد أكد على ذلك. . وأكدت له ذلك. كما أنني أحرص على رؤية بعض الأصدقاء. . تجمعني بهم مثل هذه المناسبات.

وصادفت هناك أحد الوزراء الأصدقاء والذي أصبح رئيساً للوزراء منذ أيام. وأقبل عليّ وأقبلت عليه مهناً بالمنصب الجديد. ومن خلال حديثي معه سألتني: لماذا لم تدخل في أي حزب من الأحزاب؟ بعد إلغاء المنابر؟

فقلت له أمام بعض الوزراء: أنا أكبر من كل الأحزاب ثم إنه لا يوجد حزب يستوعبني . . لأنه لا يوجد الحزب الذي يجعلني أمارس حقي في التعبير بقصد التأثير في الناس وإقناعهم . كما أنني أشعر بقيمتي عندما أكون مستقلاً .

فقال إنني أخالفك الرأي . . ولي عدة ملاحظات على ما تقول: إننا ننعم بالحرية ولك مطلق الحق في إبداء الرأي . . فقلت: إن الذي تقوله لا نستطيعه سواء كنت مستقلاً . . أو داخلاً في حزب الأغلبية أو في أحزاب الأقلية . وسببي في ذلك هو: أن الأحزاب قد جاءت من معطف السلطة .

كما أن حزب الأغلبية تكون في بادئ الأمر ورئيسه في موقع السلطة . . وأصبح ذلك مخالفاً لما تجري عليه الأحزاب السياسية في تكوينها كما هو معروف في العالم، لأن الذي يذهب إلى رئيس الحزب الذي أسسه وهو رئيس للدولة . . قد تحوم حوله شبهة المظنة أنه ذهب للحزب طمعاً في منصب أو خوفاً من بطش . وأنا لا من هذا ولا من ذاك .

وفجأة أقيت نظرة على ساعتني واستأذنت رئيس الوزراء في الانصراف على أمل موعد آخر نستأنف فيه الحديث نظراً لارتباطي بموعد آخر . وإذا برئيس الوزراء يقول لي تعليقاً بسيطاً . فقلت مقاطعاً عندما نلتقي مما أثار دهشة السامعين .

رئيس وزراء يريد الحديث مع إذاعي حيا الله ماذا يكون

شأنه . . وهو مشغول عنه بموعد . . موعد مع من . . طبعاً . . لن يكون هذا الموعد مع رئيس الدولة؟!!

وكان لطف رئيس الوزراء أغنى من كل بيان عندما سمعني أستاذنا أيضاً من السفير الصديق لقرب مواعيدي . . وأمامي مشقة البحث عن تاكسي . فإذا به يطلب من أحد مرافقيه أن أستقل إحدى سياراتهم إلى حيث أريد . وشدت على يده شاكراً ومودعاً .

وذهبت إلى بيتي قبل موعد حبيبتي بدقائق . وانتظرت ، ومرت الساعات ثقيلة بطيئة . . ولكنها سوف تأتي وهذا هو يقيني الذي لا يخيب . . ولكنها لم تجيء!!

أمضيت بعض ليلي ساهراً ومفكراً فيها وأقول ببني وبين نفسي ساخراً:

حبيبتي لم تجيء . . يا سبحان الله .

أضحى بحديث رئيس الوزراء الذي يريد أن يتحدث معي عن التجربة الوليدة في قيام الأحزاب عشية الإعلان عن إلغاء المنابر . وتكوين أحزاب ثلاثة هي الوسط واليسار واليمين . ولم يكن حزب العمل قد تكون بعد .

وكل كلمات رئيس الوزراء التي تعمقت معرفتي به في رحلة سفر طويلة في المغرب تغري بالاستماع . . وأضحى بها وأحضر في مواعيدي . . وحبيبتي لم تحضر . . آه من سلطان الحب في كل زمان

وفي كل العصور! . . وآه من الحب في زماننا الخطأ!!

وانتشلني صوتها من وسط هواجسي الساخرة وتساؤلاتي . .
وأول سؤال سألته: لعلك بخير.

قالت في هدوء: بخير والحمد لله .

قلت: وما الذي منعك من الحضور في موعدك وقد حضرت
قبل الموعد في سيارة فاخرة كنت أخاف لو شاهدتيني فيها أن تخافي
مني لأنني قريب من السلطة أن تفرحي لي لأنني صديق الحكام . .
ولذلك أنا أعرف إن كنت تحبين ذلك أم تكرهينه .

قالت في هدوء مستفز: لا أحب ذلك ولا ذاك . وأنا أكره
السياسة .

قلت: ما الذي منعك إذن؟!

قالت فيما يشبه بلادة الحس والاستهتار: كسل . وخوف من
عدم حضورك أنت . . ولديك عذرك أنك التقيت بالأصدقاء فما
كان مني إلا أنني أغلقت التليفون في وجهها للمرة الثانية منذ
علاقتي معها .

وعادت وطلبتني من جديد . . ولم تدع لي فرصة بدء الحديث
وهي تقول: ياما قاسيت من مواعيدي معك . . وأنت اليوم لا
تطبق إلغاء موعد .

ولم أرد .

وفي هدوء قلت انتهى ما بيننا إذا وصل الأمر إلى الاستهتار .
وأنا أعرف نفسي جيداً . فأنا في الحب ذلك الطفل الذي لا يعنيه
سوى الحب . وأقاوم إغراء حديث الأصدقاء بصرف النظر عن
مراكزهم السياسية من أجل احترام مواعيدي معك .

وأخيراً أسمع بكل لا مبالاة : كلمة كسل !! ليتك قلت أي
شيء آخر! خصوصاً وأن هذه الليلة كانت تبدو . . وأنها جعلت
خصيصاً للحب!

قالت بنفس الهدوء : أكذب . . ومشكلتي أن عمري ما
كذبت .

وسرى في بدني قدر كبير من الاحترام لها عند هذه النقطة .
وقلت : احتراماً لصدقك تصبّحي على الخير . وانتظرت حتى تغلق
هي أولاً . .

وظلت السماع معلقة لفترة طويلة . . حتى سمعت من يضعها
على التليفون عند الطرف الآخر .

وقد شملني الغيظ الشديد في هذه الليلة . وعادت إليّ سيرة
الإحباط الأولى وذكرياته .

وارتاد غلب الليل ومسارحه . . لعل ذلك يخفف ما بي من
مشاعر مهزومة!

وبرغم شعوري بالاحترام تجاه صدقها . . وشعوري بالفشل

والمحاصر في حبها . . كانت مشاعري تنادي عليها سرا . وانتعش
لذكريات الحب القليلة التي كانت تجمعنا . وتعودت نداءها
الليلي . . والذي كنا لم نكمله بسبب ظروفها . وكنت اعتبر ذلك من
طبيعة الحياة . . فلدينا الكثير تنام عليه الصدور في حياتنا ولم نقله .
ولكنني كنت أريد أن أسمع كل شيء . . وكنت أنتشي عندما كنت
أتذكر زيارتها الأولى في بيتي عندما رقصت على موسيقى إنت
عمري . . وشاركتها رقصة الأشواق التي لم تتم . . وقضيت العمر
بعد رقصتها الأخيرة . . أتذكر وأرقص وحدي . . ولم أكن أدري
بعد رقصة الذكرى والأشواق . أنني سوف أظل في الرفص وحدي
بلا ساق . وعشت بعد ذلك أياماً أرجو فيها ألا تناديني عندما أتذكر
أنها لم تحضر في موعدنا الليلي . . وردها أنها تكاسلت . ولكن بعد
أيام عندما أتذكرها أتمنى لو تعود من جديد ، ولو بنداء في الليل
تقول فيه بضع كلمات .

وطال انتظاري . . حتى استبد ب الغضب وتمنيت ألا تعود
وأ تعود الغياب . . وربما ضاعت كغيرها في الزمان عندما يجاصر
حبنا الأيام . وتتآمر عليه الظروف .

وفي ليلة اليأس هذه جاءتني كما كانت طائراً من السماء يبدد
ظلام وحدتي . جاءني صوتها سماوياً ناعماً .

وقالت : كانت لدي مشكلة . . وحنى الآن لم أفلها
وأصبحت أنت المشكلة . كنت حريصة كل الحرص على لقائك

فأصبحت حريصة على البعد عنك بقدر ما استطعت . .

وقلت لنفسي: إنها تفكر فيما أفكر فيه تماماً . . ويسدو أن قصتنا على قصرها . . وصلت إلى قاع قلوبنا . . حتى أصبح قلبانا يدقان في صدر واحد . . يا الله . .

ومضيت أصغي لها وأنا حزين لما تقول . . وكان من الطبيعي أن أسألها لماذا؟

قالت: وما هي نتيجة كل ما نفعله . . وماذا سنكون النهاية . . وأنا حتى هذه اللحظة لا زلت مرتبطة ولو بالإسم بالزواج من رجل . . القانون يسميه زوجي . . ومضت تقول: لينك تساعدي على الخلاص منك ولن أقول لك شيئاً عني بعد ذلك .

وقالت: هل تريد أن تعرف لماذا لم أحضر؟ . . لم يكن سبب عدم حضوري الكسل كما زعمت . . ولكن الرغبة في الخلاص . . بعد ما أصبحت أنت في حياتي جزءاً من تكويني ومن سعادتي من عذابي ومن خوفي ومن قلقي . ولم يصبح في حياتي إلا أنت ولا أدري لماذا برغم ما تمتلئ به حياتي من هموم. وأصبحت أخاف عليك من نفسي . . بعد ما ملكت علي نفسي . وكل شيء! وقد تكون هذه آخر كلماتي لك . . لا أعرف بالضبط ولكنني أريد أن أسألك . . وتحبيني بصدق كما عهدت فيك . . ماذا تقول عني . . بعد ما جئت إليك ورقصت لك؟

قلت : هذه ذكرى سأعيش عليها .

قالت : هذا كلام يقوله العاشق الصادق والكذاب !

قلت : تستطيع المرأة بما فيها وبما تمتاز عن الرجل من صدق في
الشعور، وبما لديها من مشاعر فطرية أن تحكم على الكاذب
والصادق .

قالت : هذا ما لا أعنيه . . ولا أفصده .

قلت : ماذا تقصدين إذن؟

قالت : عادة ما يقول الرجل إن المرأة التي أعطتني ربما تعطي
غيري .

فقلت ساخراً : تعرفي أنا نفسي واحدة تغلط معايا ، وبعد ما
تغلط ترفض تتجاوزني بدعوى أنني ما دمت أخطأت معها . . يبقى
غلطت مع غيرها!!

وتبادلنا ضحكة مختصرة . ثم بدأت حديثاً جاداً بعد ما بددنا
الجهامة التي بدأت في كلامنا الأول . . ثم قلت : هذا كلام فارغ
ويقوله العامة تحت تأثير الإلحاح على هذه المقولة الشائعة . وهي أن
الرجل يقول إن المرأة التي أعطتني ، لا بد وأن تكون قد أعطت
غيري . ويكون بذلك مبرراً لاحتقارها . والابتعاد عنها .

ولكن الحقيقة أن المرأة لا تعطي إلا إذا أحبت . وكل نساء

الأرض كذلك في كل مكان في الدنيا باستثناء البغايا! ولكن بعد
شيوخ هذه المقولة والإلحاح عليها قد اكتسبت شكل العقيدة وهذا
غير صحيح!!

ومن الواضح أن عطاء المرأة العاشقة للرجل يسعدها ولكن لا
ترغب فيه لما يجره عليها من مشاكل تكون فيها الضحية. ومن هنا
يكون حرصها. ولكنها في العادة تمنح الحب إلا قليلاً من أجل
سعادة حبيبها. لأنها تعرف أن عطاءها القليل يسعده! فما بالك
بالكثير!!

قالت: كلامك يسعدني. وهذا ما يحيرني.. هل أستمّر..
وماذا بعد الاستمرار.. أم أنقطع واتعذب.

قلت: حتى هذه اللحظة لا نستطيع التخطيط لمستقبل هذا
الحب.. ثم إنه من الواضح كما قلت أن ما نخطط له.. تفسده
الظروف.. ولعل الأيام تدخر لنا سعادتنا بعد أن أعلنت عن
عداوتها لحبنا في الماضي. وفي كل الحالات أنا أنتظر دائماً برغم
كل شيء من أجل سعادتي.

قالت: ومن أجل..

ولم أستمع إلى بقية الجملة.. ولكنني كنت أستطيع أن أتخيل
ماذا كانت تريد أن تقول باستثناء مفاجآت الكلام والذي نجيء به
عادة كلمات المجاملة. ولكنني كنت أريد أن أقول لها أيضاً: إن

الذي يفسد الحب هو أن تذهب إليه تحت تأثير الموروث القديم من الكلام ونسئ أن لكل تجربة حب جلالها وتفرداها. وليس في الحب أستاذ وتلميذ. لأنه رب تجربة واحدة قائمة بذاتها لها من العمق الرائع ما تفيد من أكثر من تاريخ كامل في الحب ظل يعيش أبطاله على هامش الحياة والأحداث. أو كان من ذلك النوع من اللعب والوقوف بنواصي الشوارع. أو معاكسة الناس في الطريق.

وأعظم حب هو الذي تعيشه بكيانك كله مخلصاً. . وتكون مستعداً لتحمل نتائجه. . لأنه لا خير في حب لا يعرف الخطر أو المغامرة. أو الخوف والترقب والانتظار والسعادة واللذة. ومن الأشياء المستقرة في أذهان البعض تلك المقولات التي تشبه القوانين في الحب. ومن هذا القول هو بيت من الشعر لم يعرف صاحبه سوى واحدة ثم قال: ما الحب إلا للحبيب الأول. ولو أن الشاعر عرف غير الأولى لعرف أن الحب الأول هو الحب الأخير. وأن حباً يطرد حباً ولو سأل أحد ذلك الشاعر بأنه إذا أحب واحدة وخانته وعذبتة بعد أن أخلص لها. وهجرته. وعرف أخرى منحته أجمل ما في الدنيا من عطاء الحب. والسعادة فيه. . أيظل مخلصاً أيضاً للحبيب الأول؟. . وفي هذه الحالة يكون مريضاً وكذلك إذا أحببت فتاة. . وتزوجت بمن أحببت. واكتشفت خيانتها. أو أنه بخيل. أو أنه ضنين بالحنان هل تظل على حبها له برغم كل هذه العيوب.

وإذا صادفها بعد ارتباطها السابق بالرجل الشهيم النبيل

والكريم . والمحـب . والمخلص . والتي شعرت معه أنها في حضن
النعم من رعايته وحمايته . وقوة شخصيته . وإخلاص لبيته .

هل تظل هذه على حبها القديم تحت شعار ذلك القول
«الهايف» ما الحب إلا للحبيب الأول؟ . . أعتقد أن هذه السيدة
تكون هي الأخرى مغرمة بتعذيب ذاتها .

وهذا لا يمنع أن يصادف العاشق أو المحبوبة حباً . . يكون
الأول في حياة كل منهما . وكان موفقاً وناجحاً وعاش العاشقان
حياتهما كما يشتهيان . هنا يصلح ذلك القول ما الحب إلا للحبيب
الأول . . إذن لكل حب ظروفه . . ولا يصلح الثابت من مآثور
الكلام على الحكم في الحب . . ولكنني لم أستطع أن أقول لها كل هذا
ومضت أيامي بين الانتظار والرغبة فيها . . والبعد عنها . والخيرة بين
الرغبتين .

ولكن في قرارة نفسي كنت أتمنى أن تعود في وقت وأصبحت
انتظرها في كل هبة ريح . . وكل رنين للتليفون كلما جاء الليل .

وأصبحت في علاقتي معها مثل قطعة تطفو على سطح ماء نهر
راكـد . لا تتحرك إلا ببطء . . ولم تصل بعد إلى شاطئ .

وتعـضي الأيام في تتابعها وأنا بين العمل والانتظار . . وكنت
أريح نفسي بهذا القول: إن تاريخ الحب هكذا . . وأن تاريخ
العشاق مليء بمثل هذه الأمور . . فما عليك إلا أن تتقبل الوضع

وترك نفسك للظروف . حتى جاء يوم إجازتي الأسبوعية . وقضيتها في بيتي .

ودق جرس الباب في نهاية اليوم . . وامتدت يدي إلى حافظة نقودي . . لأعطي المكوجي حسابه . . وفتحت الباب وكانت المفاجأة . . إنها هي . . هي أمانى .

استقبلتها بالدهشة والحيرة والفتور . . وصافحتها في برود وعيني في الأرض . . ولا تقوى على النظر إليها .

كانت في حيرة هي الأخرى من تصرفي . وجلست على المقعد الوحيد خلف مكتبي في صالة بيتي . . وتركتها واقفة . . وكل ما في جسمي يؤلمني . فمالت عليّ ويديها حول عنقي تقبلني ، فهرتها في عنف شديد وبكل قوتي أبعدتها عني . وصرخت فيها . ووقفت ويكاد يغمر عليها من هول التصرف والمفاجأة . ولم أقل شيئاً بعد ذلك وكنت أتمتم بالاستغفار في حيرة وصراع عنيف في لحظة اختبار . . وانتابني رعشة خفيفة . . وعيناي في الأرض . . وبى رغبة في البكاء . ومضت لحظات وهي لا تفهم معنى هذا التصرف وأسبابه . وأتصور نفسي وأنا أدعو الله في بيته العتيق بهذا الدعاء : اللهم ارزقني الخشية التي تحول بيني وبين المعصية ! واستدارت نحو الباب . وهي تقول : لك الحق . . أنا حقيرة لأنني جئت إليك في بيتك . وفتحت لنفسها الباب ومضت إلى الخارج . ولا أدري كم

من الوقت جلست في وضع لا يتغير، وعواصف الدنيا تجتاحني!
وقلق الدنيا يحتلني.

وقبل منتصف الليل جاني صوتها كطلقات الرصاص: أنا
حقيرة.. لأنني جئت إليك.. كل الرجال هكذا يخدعون..
يكذبون.. هل تذكر كلامك السابق في الحب.. لك حق أن تحتقني
لأنني أحضر إلى بيتك..

فكرت في لحظة طيش في الحضور إليك بلا موعد كي أسعد
باللقاء.. لأن تجربتنا السابقة كل ما نخطط لشيء تفسده
الظروف.. ولكن لم أكن أدري أنني اعتبرت المجنون هو مليكي
وسلطان أيامي والجالس على عرش قلبي.. وهو كل حي!
ومضت قائلة: لا.. لا.. أنا المجنونة التي جاءت إلى مجنون!!

وبصوت هادئ سألتها: هل انتهيت؟.. هل تدعيني أقول لك
شيئاً.. ثم يكون قرارك.. وبالنسبة أنت على حق في كل ما
تقولين.. وأنا لست غاضباً منك.. ولكنني وصلت إلى درجة اليقين
أن حبنا جاء في الزمان الخطأ.. أو لا ترضى عنه الأقدار.. دعيني
أقول لك ما حدث لي بالأمس فقط..

ولك مطلق الحرية في اتخاذ قرارك.

وبعضية قالت: ماذا تقول بعد ذلك وهل لك عين أن تقول

شيئاً . . أنا لن أخدع فيك بعد اليوم . . أظنك ستقول لي أنك خائف . .

أنت الذي قلت إن جاري رحلت . . ثم أراك توسوس وأنا معك . . وتتمتم بكلمات سرية غامضة . . وتركني واقفة وتدفعني بعيداً عنك .

قلت: أنا فعلاً خائف . . في حالة خوف شديد . . لم أشعر بها من قبل . . وسعادة أيضاً . . وشقاء مصدره الصراع الذي يدور في داخلي .

قالت: ما هذا الذي تقوله . . ومضت قائلة: إذا حضرت لك بعد اليوم . . لك أن تقتلني ضرباً بما في رجلك . . ولكني لن أمكنك من هذا . . لأنني لن أحضر إلى مجنون مثلك بعد اليوم .

قلت: هل تسمحين أن أنهي المكالمة . . برغم أنني كنت أريد أن أروي لك شيئاً لعلك تسمعين . . وأستريح . . وأحب أن أقول بادئ ذي بدء . . إنني أحبك!

أنا يا سيدتي قادم منذ ساعات في بداية الصباح من بيت الله الحرام وقد زرت مسجد الرسول ﷺ .

قالت: متى . . ولماذا . وهل تم كل شيء فجأة . . أم كنت في الحلم؟

قلت: ذهبت إلى مكنتي كالمعتاد . . وإذا برئيسي في العمل

يعطيني تذكرة سفر للعمرة . ولما سألته المناسبة ، ولم يسبق له أن فعل ذلك قال :

أرسل لي وزير الطيران المدني هذه التذكرة لأرشح له من أشياء بمناسبة وصول الطائرة البوينج نفرتيتي ٧٠٧ ، وجرت العادة أن تكون أول رحلة تقوم بها هي رحلة إلى الأراضي الحجازية «للبركة» . . وفي العادة يدعون الوزراء ورجال الاعلام لأداء العمرة . وإذا برئيسي يقول سأعطي الدعوة إلى أول من ألتقي به في الصباح . وكنت بالصدفة أنا . . وفرحت وقلت : ربنا دعاني لزيارة بيته . والرسول دعاني لزيارة قبره .

والرحلة تستغرق ٢٤ ساعة فقط . . وخرجنا من هنا بملابس الإحرام نهاراً . وذهبنا إلى مكة عصراً وقمنا بالطواف والصلاة في بيت الله الحرام في خشوع وضراعة إلى الله أن يتقبل منا .
وقرأنا الفاتحة أمام قبر رسوله الكريم ﷺ .

وتركت توبتي وديعة عند قبره . ودعوت الله لكل من أعرف بالهداية والهدى .

وكنت أنت من بين الذين دعوت لهم بعد أمي وأبي . .
ولا زلت مأخوذاً بروعة الزيارة وجلالها وتأثيرها في نفسي غلاب .

وقد حضرت وأنا في حالة من التسبيح وقد نهضت من صلاتي

وشكري لله لأفتح الباب وحسبت أن الذي يقف ببابي هو المكوجي
لذلك كانت نقودي لم تزل في يدي . . ولم أكن أدري أنك ببابي .
. . وكان ما كان فمُعذرة .

وبصوت خفيض قالت : لأول مرة لا أستطيع أن أقفل
التليفون . . أو المكالمة . . وأصبحت لا أقوى على ذلك برغم أن
والدتي بجواري لا تدري ما أسمع أنا . . وكان في نيتي أن أغلق
التليفون في وجهك إلى الأبد . . ولكن معذرة يا مولانا! . . وسألتك
البركات!

وانتهت المكالمة . . وأنا لا أعلم أن كلمة مولانا تقولها
خاشعة بما رويت . . أو سخرية!
صديقي أحمد . . يصافحني بعد ما رويت ويقول سألتك
الدعوات والبركة . . أيضاً!

فقلت : شكراً ثم عذراً لروايتي لو طالت . . وأسأل الله من
فضله . وهو الذي أراد أن يكون فراقني في الحب في نفس لحظة
اللقاء!! لأن حبي جاء في الزمان الخطأ!

